

1985



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المسيلة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

تطور المنهج التاريخي
من التفسير الإسلامي للتاريخ
إلى المقاربة التاريخية للمنظومات القيمية

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر

تخصص: تاريخ القرون الوسطى

إشراف الأستاذ:

لخضر بولطيف

إعداد الطالب:

يوسف القالي

رئيسا	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	عبد الغني حروز
مشرفا ومقررا	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	لخضر بولطيف
مناقشا	جامعة محمد بوضياف بالمسيلة	محمد الصديق محمودي

السنة الجامعية: 1437-1438هـ/2016-2017م



الإهداء:

إلى كل ساع ومدرك لقيمة التغيير

إلى كل غريب يريد التغيير

يسعى إلى الصلاح والإصلاح

إلى كل من يبحث عن ذهبه تحت طينه

إلى كل متفائل نحو النهوض

إلى أمتي الجريحة

إني تذكرت والذكرى مؤرقة *** مجداً تليداً بأيدينا أضعناه

إلى اللذين قرن حبهما بأنفاسي، إلى اللذين لو أخذت الدهر

أمدحهما ما وفيتهما قطرة من حقهما..

إليك يا نبع الحنان، وإليك يا أعظم أب رآته العينان

أهدي هذا العمل المتواضع

الشكر والعرفان:

الشكر كل الشكر لله الذي لولاه ما وفقت

لإكمال هذا العمل

وله الحمد على أن جعل شكر الناس من شكره

فالشكر موصول للأستاذ لخضر بولطيف

الذي كان خير معين لي ومرشد في عملي هذا

وداعما ومشجعا وباعثا على الأمل في ركام التشاؤم

كما لا يفوتني أن أسدي شكري للأستاذين

محمد الصديق محمودي، وسمير العيداني،

الذين كانا لي خير ناصحين ومشجعين

عبر مشواري الدراسي

المقدمة

1- أهمية الموضوع وإشكالياته:

من القضايا المهمة التي تعالت الأصوات في التنويه بأهميتها قديما وحديثا، قضية المنهج، فليس بخاف على أحد ما للمنهج من أهمية بالغة، ولعل ما يؤكد أهميته هو اهتمام السابقين واللاحقين به، ومحاولاتهم المتكررة في تجديده وتطويره، فقد عرف في مسيرته تطورات، ولا يزال يشهد هاته التطورات إلى يومنا هذا.

وشفيعنا في ذلك ما عرفه المنهج التاريخي في العقود الأخيرة من تطور مشهود، في خضم تجاذبات إيديولوجية متناحرة، ومرد هذا بطبيعة الحال لارتباط الفكر بالمنهج وملازمته له، وبالتالي يغدو التسليم بأهمية المنهج أمرا لا مفر منه، وهذا ما نسعى لإيضاحه من خلال المقابلة بين محطتين مهمتين في قضية تطور المنهج التاريخي، وهما التفسير الإسلامي للتاريخ، والمقاربة التاريخية للمنظومات القيمية.

وعلى هذا الأساس تكمن أهمية موضوعنا، الذي يقوم مؤشرا على حصول هذا التطور من خلال المحطتين المذكورتين، وقد جاءت العناية بالقيميات لتستأنف دور التفسير الإسلامي للتاريخ، الذي هو الآخر أعطاه مساحة كبيرة من تفسيره، وهذا لا يمكن تجاهله.

وإن كان أصحاب مشروع المدرسة التاريخية القيمية يعلنون أنهم بمثابة النظير لا البديل¹، للمدرسة القائمة على المنهج المادي، فإن التفسير الإسلامي للتاريخ يقدم نفسه كبديل للمدرسية المادية، وغيرها من المدارس القائمة على التفسيرات الوضعية.

¹ لخضر بولطيف: الفقيه والتاريخ في الغرب الإسلامي -مقاربات منهجية-، القاهرة: دار رؤية، ط1، 2013م، ص208.

ومع كل ما أبلاه التفسير الإسلامي للتاريخ في مقابل مناهج دخيلة من مادية ماركسية، ومثالية هيكلية، ودورية توينبية، إلا أن هناك من نظريه - وليس كلهم بل أقلهم - من جعله في موقف الدفاع، والذي قد يصل إلى مرحلة الدفاع المتشنج، مما يفضي للمصادرة على كل ما يصدر من الغير، وهذا ما تنبه له أحد كبار منظري التفسير الإسلامي للتاريخ¹، فظهر تفسيره متوازنا ومعتدلا، يَنم على موسوعيته وعمقه في تحليل الأحداث، واستنباط القوانين.

كما تنبه أصحاب المدرسة القيمة كذلك لهذه المسألة الخطيرة، التي قد تعصف بالتفسير الإسلامي للتاريخ، فظهرت بوادر مشروعهم بأكثر انفتاحية، رافعة تحدي دراسة التاريخ من خلال مقارنة المنظومات والمدونات والخطابات، وهذا ضمن دائرة تشتمل على التحقيق صنوا للتأليف، ويندرج تحت الأخير قضايا المنهج، كما قضايا المعرفة.

أما الذي دفعني لدراسة هذا الموضوع، فهو طغيان التفسير الأحادي في الدراسات التاريخية، والاشتغال على جزء من التاريخ، غالبا ما يقتصر على "الجزء الظاهر"، في حين أن "الجزء الباطن" غائب عن الساحة، فضلا عن غياب التفسير الإسلامي للتاريخ، والاعتناء بمنظومة القيم، في العديد من الدراسات التاريخية، والتي لا يمكن بأي حال أن يكون لها جدوى بمنأى عن مقررات التفسير الإسلامي، واستحضار منظومة القيم، وخاصة إذا تعلق الأمر بالفتوات الحساسة من تاريخنا الإسلامي، وهذه مصيبة كبرى، فكيف يمكن استبعاد البعد الغيبي مثلا في دراسة السيرة النبوية؟! وكيف يمكن استبعاد القيم كدافع محرك للأشخاص في الفتوحات مثلا؟!!

وأستعرض فيما يلي أهم الدوافع التي جعلتني أخوض غمار هذا الموضوع:

¹ عماد الدين خليل.

❖ لعل من الدوافع القوية التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع جدته التي تكمن في المقابلة بين مسلكين منهجيين في تفسير التاريخ، حيث نستطيع القول إنهما في الأصل جديان، وخاصة بالنسبة للمسلك الثاني، وأكثر من هذا تظهر طرافته من منظور تاريخي، والمقابلة بين هذين المسلكين، في حدود علمي، لا توجد دراسات سابقة بشأنها.

❖ توضيح أهمية التفسير الإسلامي للتاريخ، وأهمية البحث في السنن الكونية، والقوانين المتحركة في حركة التاريخ، التي من شأنها أن تحدث تغييرات جوهرية في الحياة، وتمكّن من فهم أكبر وأعمق للماضي والحاضر، واستشراف أفضل للمستقبل.

❖ بيان البعد الغيبي وأثره في حركة التاريخ، وكذلك ما للقيم من دخل في صياغة الأحداث، وتأطير الأفكار.

❖ إبراز قوة الفكر الإسلامي، في زمن صار التشدق بالغرب والتبعية، من سمات التحضر، بينما صار الرجوع للأصل من أمارات التخلف والرجعية.

❖ بيان خطورة المنهج في التعامل مع أحداث التاريخ، وما وصل إليه درس التاريخ الإسلامي من تزيف وتشويه بصفة خاصة، والتاريخ البشري بصفة عامة، وذلك من خلال محاولة إخضاعه لمناهج لا تستقيم ومضامينه.

❖ إبراز تجليات مشروع المدرسة القيمية، الذي يحاول أن ينحو بالبحث التاريخي منحى آخر، بحيث يفتح له آفاق جديدة، ويسبر أغواره العميقة، مما سيعيد للتاريخ قيمته وفعاليته في التغيير الحضاري.

ولما كان الاستشكال هو جوهر البحث ومنطلقه، فإن الإشكاليات التي ارتهن لها هذا البحث قد تعددت، وتنوعت بتنوع القضايا المطروقة في نطاق هاته الدراسة، ولعل الإشكال الجوهرية، هو ما جدوى إجراء المقابلة بين منهج التفسير الإسلامي

للتاريخ، ومنهج المقاربة التاريخية للمنظومات القيمية؟ وما قد يتفرع عن ذلك من إشكالات جزئية، من قبيل:

- ❖ هل يسع التفسير الإسلامي للتاريخ أن يتصدى لتفسير تاريخ البشرية أم أنه يظل محكوماً بحدود التاريخ الإسلامي؟
- ❖ وهل نجح منظرو التفسير الإسلامي للتاريخ في تطبيق ما نظروا له؟ وكيف يمكن فهم مواقفهم من التفسيرات الأخرى؟
- ❖ إلى أي مدى يمكن الاعتداد بالمقاربة التاريخية للمنظومات القيمية في دراسة التاريخ الإسلامي؟ وفيما تكمن أهميتها بالنسبة لحقل التاريخ؟
- ❖ وكيف كانت تجليات دراسة المنظومات والمدونات والخطابات على مشروع المدرسة القيمية؟ وما هي الإسهامات التي حققتها في مجال التاريخ؟

2- المنهج والرؤية:

تصدينا لهاته التساؤلات والمشكلات، وما يحيط بالموضوع من ملبسات بإعمال المنهج التاريخي، وما اشتمل عليه من بعض الآليات، من استقراء في الكثير من المحطات، وذلك لاستخراج المكونات، كما عمدنا إلى عقد المقارنات والمقابلات بين مدرستي الإسلاميات والقيميات، في حين يظهر الرصد في التحليل والتجليات، في بعض الإفادات، وكذا النقد والتمحيص في الأمور المبهمة والعلاقات، كالدوافع والمسوغات، وفي الصراع ما ورد بشأنه من اختلافات، وأما الاختيارات للنماذج والمحطات، فمبني على الانتقاء في الكثير من الحالات.

3- هيكل الموضوع:

على ضوء ما توفر لدينا من معطيات، جاءت هيكلية بحثنا على النحو التالي:

مقدمة اشتملت على بيان أهمية الموضوع وإشكالياته، وكذا المنهج المتبع، وهيكله الموضوع، والدراسة النقدية.

ثم مدخل تناولنا فيه أهمية المنهج، ومفهومه، ونبذة عن التطور الحاصل في المنهج التاريخي في السياق الحضاري الإسلامي، وبعض الاصطلاحات والمفاهيم المتعلقة بالتفسير الإسلامي للتاريخ، كالفلسفة، والتفسير، والتاريخ، ودوافع بروز التفسير الإسلامي للتاريخ، وتقاديا لتضخم المدخل، آثرنا إرجاء مفاهيم المدرسة القيمية لحين فصلها الخاص بها.

وقد توزّع البحث على فصلين جوهريين؛ فصل أول يحمل عنوان: التفسير الإسلامي للتاريخ بين التنظير والتطبيق، ومن العنوان يتضح أنه يشتمل على عنصرين، وهما التنظير والتطبيق، بحيث عالجا في التنظير مجموعة قضايا تخص التفسير، وهي البعد الغيبي، والقوانين والسنن التي تحكم حركة التاريخ، والفعل التاريخي، وهذا ضمن محور عنوانه: مبادئ حركة التاريخ، بينما في المسألة الحضارية ناقشنا منظومة البناء الحضاري، وقضية الصراع، وختمناه بسقوط وقيام الدول والحضارات.

أما جزء التطبيق فقد عالج أربع قضايا مهمة، وهي البعد الغيبي، والقوانين والسنن التي تحكم حركة التاريخ، وقضية الصراع، وكذلك سقوط وقيام الدول والحضارات، وبطبيعة الحال فقد درست هذه القضايا في سياقات تطبيقية.

بينما خصص الفصل الثاني للمدرسة القيمية، وحمل عنوان: المقاربة التاريخية للمنظومات القيمية.. المرجعية والتجليات، وقد عالجا في القسم الخاص بالمرجعية مفهوم القيم، وأهمية القيم، ومصادر القيم ومنابعها، وخصائص القيم الإسلامية.

بينما في قسم التجليات، فقد قمنا فيه بعملية رصد واستقراء للأعمال المنجزة في إطار هذا المشروع، والتي مايزنا فيها بين مجالين: مجال احتوى على ما تم إنجازه في التحقيق، ومجال تطرقنا فيه إلى ما تم إنجازه في التأليف، وهذا المجال الأخير تتوزعه دائرتان: دائرة الشواغل المنهجية، ورصدنا فيه ما أنجز من أعمال، ودائرة الشواغل المعرفة، والتي تنتظم ثلاثة محاور: محور المنظومات الثابوية في أعماق اللاوعي الجمعي الإنساني، والمؤطرة للفكر والسلوك، ومحور المدونات أو النصوص المواربية، التي تفصح عن قدر ضئيل من مكنوناتها، ومحور الخطابات المخاتلة المستندة إلى مستويات متزاحمة من اللا معبر عنه واللامفكر فيه.

4- الدراسة النقدية:

لقد اقتضت طبيعة بحثنا المنهجية أن نخرج عن المفهوم المستقر في الدراسات التاريخية الوسيطية، في التمييز بين مفهوم المصادر والمراجع، لتغدو الدراسات الحديثة، مما له صلة بإنتاج المدرستين محل الدرس مصادر، وهو أمر مبرر بالنظر إلى حداثة المدرستين المتناولتين؛ سواء تعلق الأمر بمدرسة التفسير الإسلامي للتاريخ أو المدرسة القيمة، وعلى هذا الأساس سيكون تصنيف المصادر والمراجع على أساس مدى صلتها بإنتاج المدرستين تنظيرا وتطبيقا، مرجعية وتجليات.

وقد يوجه إلينا نقد في عدم استخدام المدونة التراثية، فأقول إنها في المتناول، والإحالات عليها أكثر من أن تحصى، لكنني أعرضت عنها، واكتفيت باستعراض قراءات المنظرين أو المشتغلين عليها، وذلك تقاديا للخلط بين كونها مصادر، وما يمكن أن تفرضه طبيعة الموضوع من مصادر متماشية معه، ولأنه في المقام الأول والأخير، فإن الذي يعينني في بحثي، هو تتبع التنظيرات، وتقويم المنجزات، لدى كل من المدرستين.

وبالنظر إلى التنوع الحاصل في دراستنا، من حيث جمعه بين أعمال مدرستي الإسلاميات والقيميات، إلا أن القدر المشترك بينهما هو قلة الدراسات التي استهدفتها، باعتبارهما حديثي العهد، وخاصة ما يتعلق بالقيم من منظور تاريخي. ومن الدراسات التي كانت مدار البحث في التفسير الإسلامي للتاريخ، نذكر:

كتابات كل من عماد الدين خليل، وعبد الحليم عويس، باعتبارهما منظرين للتفسير الإسلامي للتاريخ، وقد تحرّى البحث في كتاباتهم مستويات التنظير والتطبيق، وذلك للتداخل الحاصل بينهما في كتاباتهم، وأهم كتاب يمكن ذكره للدكتور عماد الدين خليل، والذي يعتبر الركيزة الأساس في التفسير كتاب "التفسير الإسلامي للتاريخ"، وكذلك كتاب الدكتور عبد الحليم عويس: "فلسفة التاريخ - نحو تفسير إسلامي للسنن والنواميس الكونية والاجتماعية-". ومع مساندة الكتب الأخرى التي تصب في هذا الميدان، على غرار كتاب عبد الحميد صديقي: "تفسير التاريخ"، وكتاب نعمان عبد الرزاق السامرائي: "في التفسير الإسلامي للتاريخ"، والمفكر الجزائري مالك بن نبي -رحمه الله- الذي كان معتمدا فيما يتعلق بمسألة الحضارة، وذلك من خلال كتابين له: "شروط النهضة"، و"ميلاد مجتمع"، لكن لم نشأ أن نتعمق في كتاباته، لأجل أن نفسح المجال لقراءة منظرين المدرسة خليل وعويس.

ومن الدراسات التي عالجت قضية التفسير أو منظره، ونخص بالذكر منهم عماد الدين خليل، فقد أنجزت بشأنه العديد من الدراسات، ومن بين أهمها، مما أفاد منه البحث في قسمه الأول:

❖ عبد الحميد صائب: فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي -دراسة مقارنة بالمدارس الغربية الحديثة المعاصرة-. تناول في دراسته هاته كتاب عماد الدين خليل الموسوم "بالتفسير الإسلامي للتاريخ"، وأطلق عليه النظرية القرآنية للتاريخ، في دراسة ممتازة، لولا تدخل المرجعية المذهبية، التي جعلته يقف في صف السيد محمد الصدر

الشيوعي، ربما لكونه شيعيا، وينتقد عماد الدين خليل ذا المرجعية المذهبية السنية، حول قضية الصراع، وإمكانية قيام المجتمع المعصوم، بقيادة المهدي -الشيوعي-، وبهذا يتفق مع المذاهب التفسيرية الوضعية من الماركسية والهجلية، في القول بالوصول إلى عالم موحد، يسوده السلام والمحبة، وبهذا يختلفان ويناقضان المبدأ الذي انطلق منه وهو الحركية، لكن هيات هيات مادام الهدف من الصراع تحريك حركة التاريخ فلن يتحقق هذا، فالصراع باق بين الحق والباطل، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

❖ أحمد إبراهيم أبو شوك: "التفسير الإسلامي للتاريخ"، وهذه الدراسة عبارة عن مقال في مجلة أسلمة المعرفة، قام فيها برصد ومعالجة قضية التفسير الإسلامي للتاريخ، وما له من دوافع ومسوغات، وكذلك تطرق للمرتكزات، وموقف التفسير من العديد من القضايا، في دراية جيدة، لكن بنوع من التعميم، وخاصة فيما يتعلق بقضية الرفض للمنهج الغربي.

❖ عبد الحليم عويس: "فقه التاريخ"، في دارسته هاته قام برصد وتقويم نشاط المنتمين للتفسير الإسلامي للتاريخ، بما في ذلك عمل زميله عماد الدين خليل "التفسير الإسلامي للتاريخ"، وقد عبّر عن أهمية هذا العمل، واتفق معه تقريبا في كل المسائل، ما عدا مسألة اختلف معه فيها وهي قضية الصراع.

أما فيما يتعلق بمجال القيميات، فيمكن إدراج ما يلي من الدراسات:

❖ أكرم ضياء العمري: قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي، حيث تعد هذه الدراسة أول الدراسات التي طرقت هذا الباب، ويلاحظ هذا من خلال تصريح المؤلف بهذا، وندائه المتكرر حول معالجة القيم الإسلامية من منظور تاريخي، لكن وفي حدود علمي لم تجد هاته النداءات طريقا، مقارنة مع النداءات الأخرى التي قطعت شوطا مع القيميات.

❖ لخضر بولطيف في مقال له بعنوان: "ملاحح المنظومة القيمية في المجتمع القلعي -منطلقات الفكر وأنماط السلوك-"، وهو من ضمن الدراسات التي اشتمل عليها كتابه: "الفقه والتاريخ في الغرب الإسلامي -مقاربات منهجية-"، والذي جمع فيه بين التنظير والتطبيق، حيث نوه بأهمية المقاربة التاريخية للمنظومات القيمية، ومدى النفع الذي سيعود على حقل الدراسات التاريخية من ورائها، ويبدو أن نداء المؤلف كان انعكاساً لعمل ميداني، يشاركه فيه زميله الدكتور الطاهر بونابي، وطائفة من طلبة الماستر والدكتوراه الذين التقوا من حولهما، ما كان مؤذناً بتأسيس نواة مشروع المدرسة القيمية، وقد استندنا إلى منجز الأستاذين وعدد من طلبتهما في القسم الثاني من بحثنا.

❖ زهوة أعزيبي: "ملاحح المنظومة القيمية لمجتمع المغرب الأوسط خلال العصر الزياني"، وهي من بواكير الدراسات التي يمكن عدها تجسيدا واعيا لمشروع المدرسة القيمية، حيث عالجت فيها الباحثة منظومة القيم من منظور تاريخي في العهد الزياني، ولما أنها ذكرت أن درستها تعد أول الدراسات في مجال القيميّات، فإنه كان من المتعين عليها أن لا تجزم بذلك، حتى تتأكد تمام التأكد، فقد سبقها في ذلك الأستاذ أكرم ضياء العمري في دراسته سابقة الذكر.

❖ عبد الله محمد أحمد حريبي: "القيم في القصص القرآني"، وهي عبارة عن أطروحة دكتوراه تعالج القيم الإسلامية بصفة عامة، في دراسة اشتملت على مفهوم القيم، ومصادر القيم، وقد شددنا عضدها بدراسات أخرى، نخص بالذكر منها دراسة خالد الصمدي المتمثلة في مقال صدر في مجلة البيان حمل عنوان "مستقبل التربية على القيم في ظل التحولات العالمية المعاصرة"، فدرسته هاته قيمة للقيم، وخاصة فيما يتعلق بمصدر القيم الإسلامية وخصائصها.

مدخل:

❖ المنهج التاريخي وأهميته

❖ نبذة عن تطور المنهج التاريخي

❖ مفهوم فلسفة التاريخ أو تفسير التاريخ

❖ الدوافع والمسوغات

❖ المنهج التاريخي وأهميته:

عرفه عماد الدين خليل على أنه "حشد الطاقات وتجميعها والتنسيق بين معطياتها لكي تصب في الهدف الواحد، فتكون اغنى فاعلية واكثر قدرة على التجديد والإبداع والعطاء"¹.

وهو "الوسيلة للوصول إلى الحقائق باعتبارها وقعت بالفعل وتحويلها إلى صورة منطقية في الذهن تترجمها الأقلام على الأوراق"². ويعرف المنهج التاريخي على أن هو المراحل التي يسير خلالها الباحث حتى يبلغ الحقيقة التاريخية³.

وقد أكد الباحثون على اختلاف مشاربهم ورؤاهم على أهميته باعتباره الوسيلة نحو ادراك الهدف المأمول إنجازه أو نحو بلوغ الحقيقة التاريخية، ولأنه لا يمكن فصل الفكر عن المنهج لأن المنهج يستهدي بالفكر من ناحية ومن ناحية أخرى يقوده⁴، وبما أن للمنهج دوراً كبيراً وخطيراً في حركة الإنسان الفكرية والحضارية⁵. ازدادت الأهمية للمنهج "حتى صار ضربة لازب، إذما أردنا بحق أن نستعيد معطيات هذا التاريخ"⁶.

¹ عماد الدين خليل: حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، ط1، دمشق: دار ابن كثير، 1426هـ/2005م، ص9.

² محمود إسماعيل: فكرة التاريخ بين الإسلام والماركسية، ط1، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1988م، ص12.

³ قاسم يزبك: التاريخ ومنهج البحث التاريخي، ط1، بيروت: دار الفكر اللبناني، 1990م، ص48.

⁴ اكرم ضياء العمري: منهج النقد عند المحدثين - مقارنة بالمنهج النقدي الغربي-، ط1، الرياض: دار إشبيليا، 1417هـ/1997م، ص6.

⁵ جبر محمد الخطيب: "المنظور التاريخي في منهج المؤرخ عماد الدين خليل"، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، ع:(2)، يونيو 2014م، ص194.

⁶ عماد الدين خليل: حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، ص10.

❖ نبذة مختصرة عن تطور المنهج التاريخي في الحضارة الإسلامية:

نود أن نعطي لمحة ولو سريعة عن تطور المنهج التاريخي في الحضارة الإسلامية، التي كان للإسلام الدور البطولي في صياغتها والمحرك في أفعالها لذا من الطبيعي أن تظهر المحاولات الأولى متأثرة بالواقع العقدي والفكري الذي عاشه المسلمون في الفترة الأولى، حيث كان علم الحديث المسيطر في ضبط الروايات التاريخية وذلك وفق منهج الجرح والتعديل، إلا أنها لم تحظى بما حظى به الحديث الشريف¹.

وبمرور الزمن تراكمت معارفهم التاريخية كما وتعددت صنوف الكتابة التاريخية، تجسد هذا التراكم المعرفي في ظهور أنماط متنوعة من الكتابة التاريخية "إن التقدم الذي حدث في بنية علم التاريخ ومناهجه البحثية كان يمثل نقلة نوعية تجاه الاستقلال المنهجي من علم الحديث والعلوم الشرعية الأخرى، لأن أوعية المصادر التاريخية قد تجاوزت روايات الإخباريين وأمست تشمل المعانيات الحية والمصادر المكتوبة والنقوش والآثار"²، ومع ظهور القرن الثامن الهجري، عندما ظهر العلامة ابن خلدون بلغ المنهج التاريخي ذروته في تلك الفترة.

ولكي لا نستطرد كثيرا نكتفي بذكر محاولتين مبكرتين رائدتين في مجال تطور المنهج التاريخي-وباختصار شديد- وهما محاولة أبو بكر ابن العربي وابن خلدون من خلال معالجتهم للأحداث التاريخية نستطيع أن نلمس ملامح المنهج التاريخي، حيث أن ابن العربي في كتابه يرفض الصيغة الاستسلامية في التعامل مع الروايات وينبه ويدعو الي اتخاذ موقف نقدي من هاته الروايات ورفضها إن تطلب الأمر ذلك، وابن خلدون يلتقي مع ابن العربي في الدعوة إلى عدم التسليم لمعطيات مؤرخينا القدماء

¹ أحمد إبراهيم أبو شوك: "علم التاريخ إشكالات المنهجية ومشروعات الأسلمة"، مجلة أسلمة المعرفة، ع: (24)،

19-07-2008م، ص49-50.

² المرجع نفسه: ص50-53.

لكونها قد أصابها الخلط وامتزج فيها الحق بالباطل¹، إلا أن ابن خلدون لم يكتفي بهذا و ابحر في هذا المجال وصاغ لنا مقدمة تعكس هذا الإبحار.

❖ مفهوم فلسفة التاريخ أو تفسير التاريخ:

ولربط موضوع بحثنا بفلسفة التاريخ ارتأينا لتعريفها:

مصطلح فلسفة التاريخ متكون من ركنين الفلسفة والتاريخ، وقد وقع اختلاف شديد حول مصطلح الفلسفة، وفي أبسط تعريف لها تعني: "دراسة المبادئ الأولى وتفسير المعرفة تفسيراً عقلياً"².

أما التاريخ فالمقصود به في اللغة العربية التاريخ والتأريخ والتواريخ أي الإعلام بالوقت وهو فن يبحث عن وقائع الزمان من ناحية التعيين والتوقيت وموضوعه الإنسان والزمان ومسائل أحواله المفصلة للجزئيات تحت دائرة الأحوال العارضة للإنسان في الزمان³، "والتاريخ في أبسط تعريف له هو "رصد فعاليات الإنسان في المكان عبر الزمان، فضلا عن تحليلها وتفسيرها بعد اكتشاف القوانين التي تحكم سيرورتها التاريخية"⁴.

لكن سيد قطب ذهب إلى ابعده من هذا حينما قال أن "التاريخ ليس هو الحوادث وإنما هو تفسير هذه الحوادث واهتداء إلي الروابط الظاهرة والخفية التي تجمع بين شتاتها، وتجعل منها وحدة متماسكة الحلقات، متفاعلة الجزئيات، ممتدة مع الزمن والبيئة، امتداد الكائن الحي في الزمان والمكان"⁵.

ومن البديهي أن نجد اختلاف في مصطلحي التاريخ والفلسفة ولا نجد هذا الاختلاف في دمج المصطلحين معا فلاختلاف يغدو أمرا مسلما به.

¹ عماد الدين خليل: حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، ص40، 29.

² عبد الحليم عويس: فلسفة التاريخ -نحوى تفسير إسلامي للسنن والنواميس الكونية والاجتماعية-، ط1، القاهرة: دار الصحوة، 1432هـ/2011م، ص9.

³ حسن عثمان: منهج البحث التاريخي، ط8، القاهرة: دار المعارف، [د.ت]، ص1.

⁴ محمود إسماعيل: فكرة التاريخ بين الإسلام والماركسية، ص17.

⁵ سيد قطب: في التاريخ فكرة ومنهاج، ط8، القاهرة: دار الشروق، 1422هـ/2001م، ص37.

وعلى هذا الأساس صار من الصعب جدا تحديد دقيق لما تعنيه عبارة فلسفة التاريخ فإذا كان التاريخ دراسة في أحوال الإنسان وحركته على الأرض، فإن كل مؤرخ يميل لتناول أحداث الماضي بما يملك من أفكار فلسفية وإيديولوجية، لذلك فمن الطبيعي أن يكون لهذه الأفكار أثرها الكبير في رؤيته التاريخية¹.

تعرفها زينب الخضيرى بقولها "يمكن القول أن فلسفة التاريخ في أبسط تعريف لها عبارة عن النظر إلى الوقائع التاريخية بنظرة فلسفية، ومحاولة معرفة العوامل الأساسية التي تتحكم في سير الوقائع التاريخية والعمل على استنباط القوانين العامة الثابتة التي تتطور بموجبها الأمم والدول على مر القرون والأجيال، كما أن هناك من يقول أن التاريخ يسير وفق مخطط معين ليس بطريقة عشوائية وأن فلسفة التاريخ هي رؤية المفكر للتاريخ أو حكمه عليه"².

وذكر عبد العزيز الدوري في اختلاف المؤرخين حول مفهوم التاريخ فمنهم من يعتبره فلسفة التاريخ التي تعرف على أنها تسعى لاستنباط القوانين أو وجهات عامة لسير المجتمعات البشرية في التاريخ³.

وتدل فلسفة التاريخ على المحاولات التي تبذل لتفسير مسيرة الأيام وحركة الوقائع وما يكمن وراءها من أسباب وعوامل وما يعقبها من غايات وأهداف، كما يعرف هذا المصطلح بتفسير التاريخ وتعني كلمة التفسير لغويا: الإبانة والإيضاح والشرح⁴.

ويبين الدكتور عبد الحليم عويس اختيار جماعة التفسير الإسلامي للتاريخ لمصطلح التفسير بدلاً من الفلسفة فيقول لأن هناك من يشعر بنوع من الحرج في استعمال هذا المصطلح وخاصة السلفية الحديثة لأن الفلسفة خاضت في أمور ما كان يحق لها الخوض فيها، أمور لا يدركها العقل، أمور غيبية فأضاعت الكثير من أعمار

¹ خالد فؤاد طحطح: نظريات في فلسفة التاريخ، ط1، تطوان: مطبعة الخليج العربي، 1427هـ/2006م، ص18.

² زينب الخضيرى: فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، القاهرة: دار الثقافة، 1409هـ/1989م، ص65.

³ عبد العزيز الدوري: "فلسفة التاريخ - عرض تاريخي-"، مجلة عالم الفكر، ع: (2) سبتمبر 1971م، ص65.

⁴ عبد الحليم عويس: فلسفة التاريخ، ص9.

الفلسفة بحثاً في ذات الله، لكن الفلسفة في مجال التاريخ هي فلسفة تعمل في مجالها الملائم لها وتحاول اكتشاف قوانين الله في الاجتماع والكون والإنسان¹.

وبرز فريق² يسعى إلى إعادة بناء التصور كما جاء في الإسلام وتكوين رؤية صحيحة لدى المسلم نحو التاريخ والحضارة وما يتصل بهم من قضايا التقدم والتأخر وعوامل النهوض والسقوط³.

وقبل الولوج للموضوع تجدر بنا الإشارة إلى ذكر الدوافع والمسوغات لظهور التفسير الإسلامي للتاريخ الذي ظهر في الربع الأخير من القرن العشرين للميلاد⁴.

❖ الدوافع والمسوغات:

• وجود دافع عقدي يتمثل في المساحة الكبيرة التي منحها القرآن الكريم للمسألة التاريخية هذا الأمر الذي جعل تفسير الإسلاميين للتاريخ قضية محتمة مادام القرآن الكريم يدعو متأمليه إلى اخذ العبرة والحصول على النتيجة من خلال التجربة التاريخية⁵.

• ذكر الدكتور عبد الحليم عويس أن من الدوافع التي ساهمت في بروز التفسير الإسلامي للتاريخ "الظروف التي تضغط بثقلها النفسي الرهيب وهموم الحضارة الإسلامية الكثيرة ولأنه الطريق الوحيد للنمو والتقدم وتجنب السقوط فقه الحضارة والانسجام مع النواميس الكونية والاجتماعية"⁶.

¹ عبد الحليم عويس: فلسفة التاريخ، ص11.

² (عماد الدين خليل، سيد قطب، محمد قطب، عبد الحليم عويس، نعمان عبد الرزاق السامرائي...)

³ عبد الحليم عويس: فقه التاريخ - في ضوء أزمة المسلمين الحضارية-، ط1، القاهرة: دار الصحو، 1414هـ/ 1994م، ص16.

⁴ أحمد إبراهيم أبو شوك: علم التاريخ إشكالات المنهجية، ص42.

⁵ عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ط5، بيروت: دار الملايين، 1991م، ص5.

⁶ عبد الحليم عويس: فلسفة التاريخ، ص5.

• فشل التفسيرات الوضعية - من ومثالية هيكلية¹، ومادية ماركسية²، ودورية توينبية³، في اكتشاف العلاقة بين الله والإنسان والطبيعة من خلال استبعادها للعنصر غاية في الأهمية ألا وهو البعد الغيبي الذي يعني رفضه ممارسة تزوير وتزييف في تفسير التاريخ البشري⁴.

• رفض أصحاب التفسير الإسلامي للتاريخ مبدأ الحتميات؛ لأنها ترمي إلى تحقير الإنسان الذي كرمه الله سبحانه وتعالى، ويعترف التفسير الإسلامي للتاريخ بحتمية وحيدة وهي القدرة الإلهية وحدها، التي لا تلغي دور الإنسان الإيجابي وفاعليته، أي "حتمية نتائج قائمة على أسباب معينة، وهذه الأسباب هي حسيطة إرادة الإنسان الحرة، التي تجعله ملزماً بتحمل النتائج المترتبة على فعله التاريخي في الحياة الدنيا والآخرة"⁵.

¹ التفسير المثالي: وهو تفسير هيغل الذي يرى أن التطور هو في جوهره نتيجة صراع المتناقضات، على أساس أن كل ظاهرة تحتوي تناقضاً داخلياً يدفعها إلى الأمام، ويؤدي بها في آخر الأمر إلى تحطيمها وتحولها إلى شيء آخر أو بمعنى آخر الصراع مرتبط عند هيغل بالصراع في عالم الأفكار أي تظهر الفكرة ثم تظهر نقيضها فتنتصر الفكرة أو نقيضها فيظهر لها في ما بعد نقيض ويحدث بينها صراع مثل الذي حدث سابقاً وهكذا دواليك. انظر عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص 23-39.

² التفسير المادي: يقصد به التفسير الذي جاء به كارل ماركس وانغلز فهم يرون أن المثل العليا والأفكار عند بني الإنسان، إنما هي نفسها نتاج البيئة الاقتصادية المادية وما يحصل فيها من تغير، لذلك فليس لها وجود خاص بها، وإن صراع الطبقات لا يحصل في عالم الأفكار كما ادعى هيغل، وإنما في عالم أحوال الناس الواقعي، بواسطة ما يحصل في الكيان الاقتصادي للمجتمع من تغير. انظر عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص 40-69.

³ التفسير الحضاري: هو تفسير توينبي الذي يرى أن الحافز الأساسي لنشوء الحضارات هو التحدي والاستجابة، وأن نشوء الحضارات هو نتيجة التفاعل الخلاق بين عدة عوامل وليس المراهنة على عامل دون آخر مثل ما هو حاصل عند التفسيرات الأخرى. انظر عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص 70-94.

⁴ عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص 132.

⁵ أحمد أبو شوك: "التفسير الإسلامي للتاريخ، مجلة أسلمة المعرفة"، ع: (37-38)، صيف-خريف 1425هـ/2004م، ص 131.

- من الدوافع المهمة لبروز التفسير محاولة الإجابة على السؤال القائل لماذا تقدم الغرب وتأخرنا؟ وكيف تقوم الحضارات وكيف تسقط؟¹.
 - رفض التفسير الوضعي القائم على مبدأ الضرورة، وقوانين التطور التصاعدي أو اللولبية لحركة التاريخ، لأن هذه القوانين والقواعد المادية المصاحبة لها تجعل الإنسان مجرد عنصر ثانوي من عناصر التاريخ.²
- هذا بالنسبة للتفسير الإسلامي للتاريخ أما المنظومة القيمية والتي ما هي إلا تطور في المنهج التاريخي لفتح مدارك ودروب تمكن الباحث من معرفة الكثير من الحقائق المغيية والغائبة في ثنايا المصادر وهذا ما سنتعرف عليه في الفصل الثاني من البحث.

¹ عبد الحليم عويس: فقه التاريخ، ص13.

² أحمد إبراهيم أبو شوك: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص131.

الفصل الأول:

التفسير الإسلامي للتاريخ بين التنظير والتطبيق

أولاً: التنظير

1. مبادئ حركة التاريخ:

- البعد الغيبي في حركة التاريخ
- القوانين والسنن التي تحكم حركة التاريخ
- الفعل التاريخي في التفسير الإسلامي للتاريخ

2. المسألة الحضارية:

- منظومة البناء الحضاري
- الصراع والحركة التاريخية
- سقوط وقيام الدول والحضارات

ثانياً: التطبيق

1. البعد الغيبي في حركة التاريخ
2. القوانين والسنن التي تحكم حركة التاريخ
3. الصراع والحركة التاريخية
4. سقوط الدول والحضارات

أولاً- التنظير:

في التنظير سنتطرق لأهم القضايا الواردة في التفسيرات ونبدي وجهة نظر التفسير الإسلامي فيها من خلال مبادئ حركة التاريخ والمسألة الحضارية وفق رؤية منظره وخاصة عماد الدين خليل وعبد الحليم عويس باعتبارهما متخصصين في التاريخ ولهم العديد من الكتابات حول هذا الموضوع سواء من تنظير أو تطبيق.

1- مبادئ حركة التاريخ:

وفيه عالجتنا بعض القضايا المهمة وهي البعد الغيبي والسنن الكونية وكيف ينظر التفسير الإسلامي للتاريخ للفعل التاريخي لنظهر من خلال هاته القضايا هل بمقدور التفسير الإسلامي أن يتصدى لتفسير التاريخ البشري أم أنه صالح فقط لتفسير التاريخ الإسلامي؟

أ- البعد الغيبي في حركة التاريخ:

يركز أصحاب هذا الاتجاه على البعد الغيبي تنظيراً وتطبيقاً حيث يعتبرونه ركيزة من ركائز التفسير الإسلامي للتاريخ ومن أبرز سماته وبهذا يحتل منه مساحات واسعة ورفضه يؤدي لتزوير وتزييف تفسير التاريخ البشري¹، وهذا ما يأخذ على التفسيرات الوضعية، أو الغربية².

¹ عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص132.

² اصطلاح عماد الدين خليل على تسمية تفسيرات الأخر بالتفسيرات الوضعية بينما محمد قطب اصطلاح على تسميتها بالتفسيرات الغربية وهذا راجع للخلفية التي انطلق منها الباحثين، لأن عماد الدين خليل يراهن على أن التفسير الإسلامي للتاريخ يستمد قوته ورسالته من القرآن، ويتفق مع عماد الدين خليل في هذه النقطة نعمان عبد الرزاق السامرائي حيث يرى أن التفسير الإسلامي للتاريخ في نظره يقتبس من رؤية الله، على هذا الأساس يقابل =

ذكر السيد قطب أن تفسير الحادثة يتطلب إدراك مقومات النفس البشرية جميعها: روحية فكرية حيوية ومقومات الحياة البشرية جميعها معنوية ومادية وأن يفتح الباحث فكره وروحه وحسه للحادثة ويستجيب لوقوعها في مداركه ولا يرفض شيئاً من استجاباته لها إلا بعد التمحيص والنقد، أما إذا كان التلقي معطل لأحد من هاته المقومات بقصد أو غير قصد يجعل تفسيره للحادثة ناقصاً وهذا النقص يعد عيباً في المنهج الغربي ليس مجرد خطأ¹.

ويظهر هذا جلياً عند تناول المنهج الغربي للفترات الأكثر حساسية من التاريخ الأمة الإسلامي "وكلما كانت هذه الموضوعات الإسلامية ذات صلة وثيقة بالفترات الأولى من حياة الإسلام كان نقص الاستجابة إليها أكبر في العقلية الغربية الحديثة"².

يرى جماعة التفسير الإسلامي للتاريخ أن معظم التفسيرات فيها ثغرات خطيرة لأنها تجاوزت الإجابة عن السؤال القائل: ما هي العلاقة بين الله والطبيعة وبين الإنسان؟ وهل يمكن أن تعتمد أحداث التاريخ على أحد هاته العوامل فقط؟ ولماذا هذه الجدران أقيمت بين الله والطبيعة والإنسان؟³.

ونتج التركيز على عامل واحد وإلغاء باقي العوامل بروز عدة تفاسير من بينها التفسير المادي الذي ركز على عامل المادة بل وراهن عليه، ويشيد أصحاب هذا الاتجاه بالتفسير الحضاري لأن التفسير الحضاري خطى خطوة كبيرة في هذا المجال

التفسير القرآني التفسيري الوضعي، أما محمد قطب فالتفسير الإسلامي للتاريخ في نظره هو اجتهاد بشري يخطئ ويصيب.

¹ السيد قطب: في التاريخ فكرة ومنهاج، ص39.

² المصدر نفسه، ص38.

³ عماد الدين خليل: دراسة في السيرة، ط2، بيروت: دار النفائس، 1425هـ، ص5.

تتمتع بقدر كبير من الموضوعية لأنه صرح بأن الحدث التاريخي لا يحكمه عامل واحد¹.

ونتيجة إقصاء البعد الغيبي من طرف المنهج الغربي جاء رفض أصحاب التفسير الإسلامي للتاريخ للمنهج الغربي في هذه النقطة - وبعض النقاط الأخرى² - لأنها تسببت في تزيف وتشويه بعض الحقائق³.

يرى بعض الباحثين⁴ أن منظري التفسير الإسلامي للتاريخ انطلقوا من رفضهم للمنهج الغربي ودفاعاً عن التاريخ الإسلامي وهذا بناء على النتائج التي توصل لها المنهج الغربي من تشويه للتاريخ الإسلامي السؤل الذي يتبادر للأذهان هو إلى أي مدى يمكن تسليم بهذا الطرح؟

يمكن التسليم بهذا لكن ليس على عمومه لأنه لو سلمنا به نكون غير موضوعين في التعامل مع أصحاب هذا التوجه ولأن مبدأ الرفض يؤدي بأصحاب التفسير للدفاع المتشنج والمصادرة على كل ما يصدر من الآخر وبهذا يبتعدون عن الموضوعية وتحضر مكانها الذاتية التي لا يخفي على أحد ما توصل إليه من نتائج خاطئة، إلا أن هناك من يشيد بعنصر الذاتية من منظري التفسير الإسلامي للتاريخ حيث يقول "إن إسهام العنصر الذاتي (الذاتية) في أي موضوع إذا التزم حدود التفاعل القائم على الخيال والرؤية والفطرة والموازنة بين المنطق وابتعد عن العاطفة والانفعال السلبي فإن النتيجة تكون عملاً ضخماً في مجال المعرفة أو خطوة عملاقة في مجال

¹ ومن هذا يمكن أن نتنبه للمنهج الذي يسر عليه عماد الدين خليل لا تعصب ولا دفاع متشنج ولا رفض مطلق، انظر عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص15.

² (استبعاد عنصر الإنسان، حتمية السقوط الدول والحضارات وعدم قيمها من جديد، الانتهاء إلى عالم موحد، قضية التحقيب على أساس أن أوربا هي مركز العالم...).

³ عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص133.

⁴ أحمد إبراهيم أبو شوك في مقال له في مجلة أسلمة المعرفة تحت عنوان التفسير الإسلامي للتاريخ.

التطور وفي مجال الحياة والتطور وهذا لا يختص بالدراسات والبحوث فحسب بل يشمل كل الحركات الضخمة في تاريخ البشرية¹.

ونعود لمبدأ الرفض المطلق أو الدفاع المتشنج فنقول أنه في حقيقة الأمر لا يمكن التسليم بهذا على إطلاقه لأن التفسير الإسلامي للتاريخ قد اعتمد على المنهج الغربي في بعض أجزاءه²، فكيف يرفضه ثم يعتمد عليه، وفي هذه الحالة صح لنا القول أن الرفض كان في بعض الجوانب ولا ينبغي تعميمه.

وتجدر الإشارة بنا للقول أن بعض المنظرين³ أنفسهم اقرؤا برفض المنهج الغربي في جوانب واعتمدوا عليه جوانب، إلا أن هناك من تنبه لهذا فكان أكثر ذكاءً، حتى في الدفاع بين ونبه لخطورة المسألة في صرف الباحث عن الحقيقة، حيث قال: "لتجاوز منطق الدفاع-قدر الإمكان- لكي تجعل الحقائق المجردة نفسها تشكل في ذهن الدارس"⁴، وينفك اللبس وتتضح الرؤية عند قوله "أن الصيغ القديمة في التعامل مع تاريخنا على أساس انه مجال للمناورات العسكرية وتغيرات الدورية في الأسر والحكام قد راح عهدها كما ذهب عهد الدفاع المتشنج حول كل ما يعرضه الخصوم بل يجب ترك كل هذا نحو إعداد أبحاث في تكوين الحضارة الإسلامية ونظمها

¹ عماد الدين خليل: ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر ابن عبد العزيز، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1398هـ/1978م، ص11.

² وسيد قطب، وعماد الدين خليل ويذكر عبد الحميد صائب أن عماد الدين خليل ارتكز على نظرية التحدي والاستجابة لتوينبي وأحمد إبراهيم أبو شوك نفسه يقر بهذا، وعبد الحليم عويس يصرح باعتماده على توينبي العلامة كما يقول هو.

³ (مثل عبد الحليم عويس، محمد قطب، عماد الدين خليل)

⁴ عماد الدين خليل: دراسة في السيرة، ص118.

وصيرورتها"¹، ففي هذا رفض ولكنه ليس على إطلاقه وعدم التعصب الذي إن وجد قد يؤدي بصاحبه للإغفال الحقائق بل وتزييفها.

ويرى مالك بن نبي أن الحضارة لا تظهر إلا في صورة وحي غيبي²، ومن هنا تتجلى خطورة البعد الغيبي في دراسة التاريخ.

وفي مقابل التفسيرات الأخرى يرى منظرو التفسير الإسلامي للتاريخ أن أفضل تفسير يمكن أن يتصدى لتفسير التاريخ البشري هو التفسير الإسلامي لأنه "ينبثق عن موقف موضوعي شامل يربط ويوزن ويدرك العلاقة المتبادلة بين القيم التي تصنع التاريخ مادية ورحية طبيعة وغيبية" إضافة إلى أنه "تفسير واقعي ولا يتأثر بقيمه مثالية الممكنة الوقوع أساساً"³.

¹ عماد الدين خليل: في التاريخ الإسلامي فصول في المنهج والتحليل، ط1، دمشق: المكتب الإسلامي، 1401هـ/1981م، ص8.

² مالك بن نبي: شروط النهضة، دمشق: دار الفكر، 1986م، ص51.

³ عماد الدين خليل: حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، ص66.

ب- القوانين والسنن التي تحكم حركة التاريخ:

"إن فلسفة التاريخ يجب أن تبدأ من فكرة أن التاريخ يحكمه قانون ما"¹، وبهذا يقر أصحاب التفسير الإسلامي للتاريخ بأن حركة التاريخ تحكمها سنن وقوانين ويعتبر القرآن هو أول كتاب يوضح أن هناك سنن تحكم حركة التاريخ.²

قال تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ^ط ^{وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا} ³ ﴾

وقد بين محمد رشيد رضا في تفسيره لهذه الآية ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَاسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴾⁴

"إن إرشاد الله إيانا إلى أن له في خلقه سننا يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علما من العلوم المدونة لنستفيد ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمة في مجموعها أن يكون فيها قوم يبينون لها سنن الله في خلقه كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد إليها القرآن بالإجمال وقد بينها العلماء بالتفصيل عملا بإرشاده، كالتوحيد والأصول والفقه، والعلم بسنن الله تعالى من أهم العلوم وأنفعها"⁵.

وعلى هذا الأساس يبرز تأكيد منظرو التفسير الإسلامي للتاريخ على وجود هذه القوانين والسنن حيث يقول الدكتور عماد الدين خليل "أن التاريخ البشري لا يتحرك

¹ عبد الحميد صديقي: تفسير التاريخ، ط1، الكويت: دار القلم، 1400هـ/1980م، ص12.

² عماد الدين خليل: حول تشكيل العقل المسلم، ط4، فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1412هـ/1991م، ص67.

³ سورة فاطر، الآية: 43.

⁴ سورة آل عمران، الآية: 137.

⁵ محمد رشيد بن علي رضا: تفسير القرآن الحكيم -تفسير المنار-، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م، ص114.

فوضى وعلى غير هدف وإنما تحكمه سنن ونواميس كتلك التي تحكم الكون والعالم والحياة والأشياء سواء بسواء وإن الوقائع التاريخية لا تخلق بصدفة، وإنما من خلال شروط خاصة تمنحها هذه الصفة أو تلك وتوجهها صوب هذا المصير أو ذاك¹، ويعتبروا اندلاع هذه الحروب وسقوط الدول وقيامها يؤكد أن هناك سنن وقوانين في الكون².

ويرى منظرو التفسير الإسلامي للتاريخ أن لهذه السنن خصائص تتمثل في النقاط التالية:

❖ ثابتة نافذة لا تتحول ولا تتغير موجودة أساساً في التركيب الكوني وفي العلاقات المتبادلة بين الإنسان والعالم وقام القرآن بالكشف عنها وتأكيد وجودها وثقلها في حركة التاريخ.

❖ إن حكمها في التاريخ أشبه بالجزاء الذي هو من جنس العمل³.

واعتبروا السنن الكونية الإلهية حتمية في التاريخ ولكنها ليس كالحتميات الأخرى فهذه الحتمية لا تعيق حركة الإنسان ولا تكبل حركة الأمة إذا ما أرادت التقدم⁴.

السننية بطبعتها تؤكد الحتمية بأسبابها إلا أنها تؤكد في الوقت نفسه الحرية والمسؤولية الإنسانية المباشرة في حركة التاريخ⁵، فكيف حرية وحتمية والقضيتين متضاربتين!!¹.

¹ عماد الدين خليل: حول تشكيل العقل المسلم، ص 66.

² عبد الحليم عويس: فلسفة التاريخ، ص 222.

³ عبد الحميد صائب: فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي -دراسة مقارنة بالمدارس الغربية الحديثة المعاصرة -، ط2، بيروت: دار البصائر، 2014م، ص 542.

⁴ عبد الحليم عويس: فقه التاريخ، ص 19.

⁵ عبد الحميد صائب: فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، ص 543.

ويحكم التفسير الإسلامي للتاريخ على التجربة البشرية في كونها ناجحة أو فاشلة من خلال التوافق والانسجام مع هاته السنن والقوانين أو التضارب والتناقض معها²، ويفسرون سقوط البشرية في حروب وأزمات خلقية ونفسية بعدم رغبتها في الاهتداء لنواميس والقوانين الكونية التي تحكم الحياة والكون³.

ويعتبرون أن التفسير الإسلامي يعطي أصدق صورة لهاته السنن والقوانين التي تحكم حركة التاريخ ولأن هذه السنن من صنع الله تعالى فإن الموقف من حركة التاريخ وتفسيره في التفسير الإسلامي يأخذ صفة الكمال⁴.

¹ ويبدو أن السننية تحتوي على مفهومي متناقضين وهما الحتمية والحرية فكيف يفك أصحاب التفسير الإسلامي للتاريخ هذا اللغز؟ الجماعة البشرية حرة في قضية الاختيار-نظرتها للحياة، نموذج حياتها- وهذه الاختيارات الحرة تمثل السبب الذي يترتب عليه وقوع النتائج بصورة حتمية لطبيعة علاقة السبب بالمسبب، وهذه الحتمية التي هي علاقة ضرورية، هي المراد بالسنن الإلهية التي لا تتبدل ولا تتغير. انظر عبد الحميد صائب: فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، ص 593.

ونعطي مثلاً على هذا لعل به يتضح الصورة؛ لنفترض أن شخص يقود سيارة في طريق يقول قانون المرور لا تتجاوز السرعة في هذا الطريق 60 كم لو قاد هذا الشخص السيارة بسرعة تفوق التي قال بها قانون المرور يكون هذا اختياره وهو حر فيه ويتعرض لحادث مرور لأن هناك حتمية تقول تجاوز السرعة المطلوبة يؤدي لوقوع حادث، فهو حر في اختياره لكن وقوع النتائج حتمي مبني على الاختيارات.

² عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص 181.

³ عبد الحليم عويس: فلسفة التاريخ، ص 222.

⁴ عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص 13.

ج- الفعل التاريخي في التفسير الإسلامي للتاريخ:

يرى منظرو التفسير الإسلامي للتاريخ أن حركة التاريخ لا يقودها الإنسان وحده كونه مختاراً مريداً وإنما تخضع لإرادة الله التي هي فوق كل شيء بما فيها الحرية الإنسانية، وبهذا يقولون أنه لا يمكن دراسة التاريخ إلا من خلال منطلق أن الحدث التاريخي يأتي تعبيراً عن إرادة الله التي تصوغه من خلال إرادة الإنسان أو مباشرة عن طريق اتصالها بالزمن و بالتراب ولا يخرج عن هذا المجال¹.

ولإيضاح هذا يبين منظرو التفسير الإسلامي للتاريخ أن الفعل الإلهي يتخذ

شكلين عند وقوعه:

– فعل إلهي مباشر

– وفعل إلهي غير مباشر

والفعل الإلهي المباشر ينقسم بدوره إلى نمطين إما أن يأتي منسجم مع السنن الكونية والقوى الطبيعية فيكون في حالة وفاق معها، أو يكون في حالة انشقاق وتجاوز لهاته السنن الكونية والقوى الطبيعية ويتمثل هذا في المعجزات وهاته المعجزات تكون في شكلين إما أن تتمثل في قوى طبيعية مادية مثل الزلازل والفيضانات والرياح العاتية أو تكون في شكل قوة روحية معنوية مثل المساندة والدعم الذي يتلقاه عباد الله الصالحين من الله كالتوفيق أو النصر أو تثبيتهم في المواقف الصعبة²، قال جل جلاله ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ³ وَءَاتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا⁴ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا⁵﴾ قال أيضاً ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ⁶ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَفْنَا بِهِ

¹ المصدر نفسه، ص118.

² نفسه، ص118، 131.

³ سورة الإسراء، الآية: 59.

الْأَرْضَ وَمَنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ¹

أما الفعل الإلهي الغير المباشر فهو الفعل الذي يكون ناتج إرادة الإنسان وحرية والتي في مداها البعيد تعبر عن إرادة الله في خلق الله للأفعال وللأحداث "ويبلغ التداخل والتشابك بين إرادة الله وإرادة الإنسان في الفعل الإلهي الغير المباشر حدا يصعب التفريق بينهما ومن هذا فليس هناك فعل إنساني مستقل وإنما هناك فعل الهي عن طريق الإنسان، ولأن الأمر صعب في التفريق بينهما فإن هناك قاعدة أساسية تفك هذا الغموض وهي أن الكل " من عند الله"².

هذه هي حدود الحرية الإنسانية فهي من ناحية "حرية كاملة منطبقة انطباقاً هندسيا باهرا مع وجودنا أفرادا وجماعات" ومن ناحية أخرى "ماهي إلا دوائر تعمل بتوازن ومتناغم وتداخل ضمن الدوائر الأكبر التي يرسمها علم الله الشامل وتحيط بها إرادته التي لا يقفها شيء"³.

يؤكد منظرو التفسير الإسلامي للتاريخ من خلال القرآن أن الإنسان يمتلك الحرية الكاملة في صياغة الحدث التاريخ، وذلك في حدود قدراته، وإمكاناته الذاتية، والمؤثرات البيئية التي يعمل فيها، لذا فإن النتيجة التاريخية لتجربته الفردية أو الجماعية التي رتبها المشيئة الإلهية تأتي متناسقة مع روح الفعل البشري، وطبيعة التجربة نفسها، ومع مفهوم استجابة الإنسان لقوى الخير والشر، والثواب والعقاب، والتحدي ورد الفعل الموازي، والحركة والمقاومة⁴.

¹ سورة العنكبوت، الآية: 40.

² عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص138.

³ عبد الحميد صائب: فلسفة التاريخ، ص548.

⁴ أحمد أبو شوك: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص135.

2- المسألة الحضارية:

تمتلك المسألة الحضارية أهمية بالغة في معظم التفسيرات وتحتل مساحة كبيرة منها وتشكل القاسم المشترك بينها وليس غريباً أن نجد أنّ هذه المسألة تمثل تقريباً مذهب تفسيري بأكمله -التفسير الحضاري- لما لها من أهمية كبيرة¹.

المبادئ الأساسية الكبرى التي جاء بها القرآن الكريم التي تعيننا على فهم المسألة الحضارية وقد استخلصها عماد الدين خليل من الآية الكريمة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ حتى قوله جل في علاه ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾² وهي:

- خلافة الإنسان عن الله في الأرض.
- منحه القدرة على التعلم والفعل والاستيعاب.
- تكريمه الأقصى بسجود الملائكة له.
- مجابهته بإبليس وبدء الصراع بين الطرفين والهبوط الزمني الموقوت إلى الأرض كأول تجربة من تجارب هذا الصراع.
- تعليق الدور البشري على تلقي الهدى من الله وحده.
- تحديد مصير الإنسان الذي سيؤول إليه إزاء هذا الهدى في السماء والأرض³.

¹ عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص 173.

² سورة البقرة، الآية: 30-39.

³ عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص 173، 191.

أ- منظومة البناء الحضاري:

"إن بناء الحضارة قرار إنساني يعتمد على الإنسان و الفكر ثم الأشياء".¹

وصناعة التاريخ تتم تبعاً لتأثير طوائف اجتماعية ثلاث:

- تأثير (عالم الأشخاص)
- تأثير (عالم الأفكار)
- تأثير (عالم الأشياء)²

ووفق هذا التقسيم سنحاول معالجة هاته العناصر بمنظور التفسير الإسلامي

للتاريخ:

❖ الإنسان:

يحظى الإنسان في التفسير الإسلامي للتاريخ بمكانة مهمة جدا حتى أنه يبلغ مكانة السيد الفاعل المرید الذي سخر له كتلة العالم والطبيعة لتلبية متطلباته من اجل استخلاف الله في الأرض على غرار مكانته في التفسيرات الأخرى التي يصير فيها الإنسان تابعا لا متبوعا، وبهذا يصبح الإنجاز الحضاري وكأن الإنسان جزء منه أو مساحة من مكوناته.³

منح الإنسان اهتماماً كبيراً في الكتاب والسنة واشتغل الرسول صل الله عليه وسلم على هذا العنصر في مكة والمدينة لا هو خير دليل على أهمية هذا العنصر

¹ عبد الحليم عويس: فلسفة التاريخ، ص145.

² مالك بن نبي: ميلاد مجتمع: ط3، الجزائر-دمشق: دار الفكر، 1406هـ/1986م، ص25.

³ عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص207.

حيث كون جيلاً فريداً من نوعه الإنسان هو المسؤول الأول عن صناعة الحضارة¹ فالتفسير الإسلامي للتاريخ لا يعتبر الإنسان مجرد كائن حي بل هو خليفة الله في الأرض² والإنسان "مكرم ومكلف ومستخلف"³.

بينما تشترك معظم التفاسير الغربية في استبعاد الإنسان وكما عبر عليه اليكسيس كارليل في كتابه الذي سماه به "الإنسان ذلك المجهول" ففي التفسير الإسلامي نستطيع أن نقول بكل ثقة "الإنسان ذلك المعلوم"⁴، حتى أن أحدهم ألف كتاب اسماه "الإنسان ذلك المعلوم"⁵.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾⁶ ومن صور التكريم التسخير قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾⁷ وقال أيضاً: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾⁸

¹ عبد الحلیم عویس: فلسفة التاريخ، ص 144-145، 193، 145.

² عبد الحمید صائب: فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، ص 132.

³ نعمان عبد الرزاق السامرائي: في التفسير الإسلامي للتاريخ، باتنة: دار الشهاب، [د.ت]، ص 65.

⁴ عبد الحلیم عویس: فلسفة التاريخ، ص 198-190.

⁵ عادل العوا: الإنسان ذلك المعلوم، ط 2، بيروت: منشورات عويدات، 1977م.

⁶ سورة الإسراء، الآية: 70.

⁷ سورة الجاثية، الآية: 12.

⁸ سورة البقرة، الآية: 30.

❖ الفكر:

يذكر مالك بن نبي أن الحضارة لا تتبعث إلا بالعقيدة الدينية، ولا توجد حضارة من الحضارات قامت من دون دين¹.

لذلك "لابد من توفر عدة عوامل في الفكر الإبداعي الحضاري لكن أهمها إيجابيته وديناميكيته فالفكر السكوني السلبي الانعزالي لا يصنع حضارة مهما كانت أخلاقيته أو مثاليته، وهناك مهام محددة للفكرة الحضارية المؤهلة لإطلاق طاقات الإنسان نحو فعل حضاري حركي إيجابي، أهمها بإيجاز:

– تقديم تفسير لعلاقة الإنسان بالإنسان

– تقديم تفسير لعلاقة الإنسان بالكون

– تقديم تفسير لعلاقة الإنسان بخالق الكون واجبات الإنسان نحو خالقه وكيف

يحقق عبوديته له².

وسنتبع هذا النسق لنعرف كيف قدم التفسير الإسلامي للتاريخ -ذكر إشارات

فقط لأن المقام لا يتسع لذكر كل هذا- تفسيراً للعلاقة بين هاته العناصر:

تقديم تفسير لعلاقة الإنسان بالإنسان: في كتاب الله الكريم والسنة المطهرة

حديث عن العقيدة الإسلامية والشريعة والأخلاق موجه لتغطية هذا الجانب³.

أصحاب التفسير الإسلامي للتاريخ يركّزون على مسألة العقيدة كثيراً، حيث

يلعب دور العقيدة في الحضارة المركب الذي يمزج بين عناصرها، ويمنحها روحها،

وإمكانية فاعليتها في التاريخ⁴.

¹ مالك بن نبي: شروط النهضة، ص50.

² عبد الحليم عويس: فلسفة التاريخ، ص146-147.

³ المصدر نفسه، ص146.

⁴ نفسه، ص208.

وبيّن منظرو التفسير خطورة تميع العقيدة: "عندما تضع العقيدة، وينقطع التلقي عن خالق الملكوت ومدبره، ويصّر الإنسان على الاعتماد والأخذ من مصادره الذاتية المقفلة المحدودة ويتنازل -بجحود وإنكار- عن المصادر الحقيقة الكبرى لمعرفة ورؤاه، آنذاك ستصيبه اللعنة التي حكمت -على طول التاريخ- الوضعيين والعلمانيين"، وفي نظرهم ضياع العقيدة هو انشقاق ورفض للسنن التي تسير حركة التاريخ¹.

حين تفتت العقيدة وتتحل إرادة القتال يبدأ العدو في الولوج ممتطياً أحد الأصنام الباحثين عن الملك تحت أي شعار².

وتكتسب الأخلاق أهميتها في التفسير الإسلامي كونها عامل من عوامل قيام الدول وسقوطها فيجعل عماد الدين خليل من أسباب سقوط الدول تفشي الأخلاق الهابطة أما في قيام الدول فتعتبر هي أول الشروط في قيامها وذلك من خلال تغيير ما بالنفس تغييراً يمتد إلى كافة المساحات الأخلاقية، وسائر المكونات النفسية الأساسية، وكل العلاقات الداخلية مع الذات، ومع الآخرين، والتي تمكن الإنسان فرداً وجماعة من مواجهة حركة التاريخ" ومع التفسير الإسلامي للتاريخ تصبح الأخلاق مقياس يقاس به مدى التفوق الحضاري³.

أما بخصوص تقديم تفسير لعلاقة الإنسان بالكون ينطلق أصحاب التفسير الإسلامي للتاريخ من أن الكون مسخر للإنسان وأنه خليفة الله على الأرض وهذا من أجل خدمة الدور الذي كلف به في الأرض.

¹ عماد الدين خليل: ملامح الانقلاب، ص 109.

² عبد الحليم عويس: أوراق ذابلة من حضارتنا -دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية-، ط1، الجزيرة: مؤسسة اقرأ، 1431هـ/2010م، ص 129-130.

³ عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص 290، 161، 266.

لقد منح الله خليفته على الأرض "القدرة العقلية على التعلم، والمقدرة الجسدية على التنفيذ والعمل والإبداع، والإرادة الحرة لاختيار أسلوب الحياة الذي يقوده إليه فكره ودوافعه النفسية والجسدية، ولكي لا يحس الإنسان بالدونية، ولا تدور في خاطره أية فكرة سلبية عن دوره في العالم، رفعت مكانته إلى أعلى مصاف، وطلب من الملائكة أن يسجدوا له، تلك هي أسس تقود ولا ريب إلى تصور دور الإنسان في العالم كقوة فاعلة، مفكرة، مريدة، منفذة، مستقلة، مفضلة"¹.

أما بخصوص علاقة الإنسان بخالق الكون فتتمثل في العبادة لكن العبادة في مفهومها الواسع "وهي تجربة حياة كاملة يتوازن فيها الأخذ والعطاء، وهي أشبه بالبرنامج الكامل الذي ينظم فعاليات الجمعات البشرية في الأرض، ويمنحها معنى ويسير بها إلى هدف واضح مرسوم يمنح التجربة الحضارية طابعها الخاص ويعطيها الدافع والمبرر وينفخ بها روح الإبداع" وبهذا تصير "مفتاح المصير لذي يطمح له كل إنسان"².

بل يجعل منظرو التفسير الإسلامي للتاريخ من العبادة مقياس كوني في تحديد مدى توافق التجربة البشرية مع نواميس الكون وبهذا تصبح العبادة هي الغائية من التاريخ في منظور التفسير الإسلامي للتاريخ "إن عبادة الله وحده، بالمفهوم الإبداعي الشامل، هي الهدف الذي يتوجب على الإنسان، فرداً وجماعة، أن يصعد إليه كافة أوجه نشاطاته الحضارية في هذه الدنيا"³.

¹ المصدر نفسه، ص192.

² نفسه، ص185.

³ نفسه، ص179.

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾¹ وقال أيضا جل

جلاله: ﴿ أَتَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴾²

الأشياء:

هذا العنصر مهم لقيام الحضارات فلا أحد ينكر قيمة الأرض واحتلت مسألة استغلال الأرض مساحة لأبأس بها من القرآن الكريم حيث شجع على استغلالها احسن استغلال كما بينت السنة أهميتها³، فقد جاء في حديث النبي صل الله عليه وسلم «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ إِلَّا نَقَّوْمَ السَّاعَةِ حَتَّى يَغْرِسَهَا، فَلْيَفْعَلْ»⁴

التفسير الإسلامي للتاريخ يولي أهمية لمسألة التفسير المادي للتاريخ لكنه لا يقف عند المادة بل يوسعها حيث يضع دائماً في جوهر العلاقات والممارسات المادية، قضايا الروح والقيم العليا؛ التي تحفظ توازن الموقف البشري في الأرض وتمكنه من أداء مهمة الاستخلاف المنوطة به؛ وتحركه باتجاه الهدف الأشمل الذي خلق من أجله، ألا وهو عبادة الله تعالى وحده، والتلقي عنه، والتوجه إليه أخذاً وعطاءً، "والقرآن يخصص الآيات الطوال للمسألة الحضارية في مستواها الطبيعي والمادي، ولكن شرط أن تضبطها القيم والمقاييس"⁵.

¹ سورة الذاريات، الآية: 56.

² سورة القيامة، الآية: 36.

³ عبد الحليم عويس: فلسفة التاريخ، ص148.

⁴ أخرجه البخاري: في باب اصطناع المال، من الأدب المفرد، ص168.

⁵ عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص300.

ب- الصراع والحركة التاريخية:

التفسير الإسلامي للتاريخ يقر مبدأ الصراع¹، كما يرى عماد الدين خليل، ومحمد قطب، وعبد الحميد صديقي²، فإن القاسم المشترك بين هذه الضروب المختلفة يستند في جوهره إلى الصراع الذي نشب بين آدم وإبليس، وفق معايير تعكس قيم الإيمان والكفر، وتجسد أدبيات الحق والباطل³.

يرتبط ارتباط جوهري قيام الحضارات وسقوطها بقضية الصراع فكل التفسيرات تؤكد على مسألة الصراع لكن كل تفسير فسر وفق رؤاه فهيجل يقول أن الحركة الحضارية تحقق الاستمرار نحو الأحسن والأفضل من خلال صراع بين النفاض في عالم الأفكار، أما كارل ماركس يرى أن الساحة الحقيقية للصراع هي المادة ويلاحظ في التفسيرين انهم يجردون الإنسان والجماعة البشرية من اختيارها الحر، أما التفسير الحضاري جاء بنظريته (التحدي والاستجابة) الحضارة التي تتجح في الاستجابة للتحدي هي التي تستمر وتتقدم، بينما تتعثر الحضارة التي تفشل في ذلك التحدي³.

الصراع في التفسير الإسلامي لا ينحصر في ما ذكره هيجل أو ماركس أو توينبي، بل "يتجاوز ليشمل ضروباً شتى من الصراع، أو التناقض، أو التقابل، أو الثنائية في الأفعال وردودها، أو التدافع، ليس صحيحاً أن حركة التاريخ نتيجة للصراع بين النقيضين فقط، ولكنها أيضاً نتيجة للاستجابة الداخلية لنداء من فوق، هو نداء القيم والمثل العليا"⁴.

والصراع في التفسير الإسلامي للتاريخ نوعان:

¹ نعمان عبد الرزاق السامرائي: في التفسير الإسلامي للتاريخ، ص 115.

² أحمد إبراهيم أبو شوك: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص 136.

³ عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص 231.

⁴ المصدر نفسه، ص 234، 249.

النوع الأول على مستوى الكون والطبيعة، "يلاحظ وجود التقابل الشامل بين السالب والموجب، والتركيب الزوجي الذي يتجاوز عوالم الحياة على اختلاف درجاتها إلى صميم المادة، وهذا في كل الأحوال والأوضاع مصدر التوليد والتكاثر والانتساع والحركية والإيجابية الهادفة التي تؤول إلى ديمومة الانتساع الكوني الذي يتم بإرادة الله تعالى من خلال النواميس الطبيعية الدقيقة المعجزة"¹.

وأما النوع الثاني فعلى مستوى الإنسان والجماعة: حيث أن الصراع يأخذ أكثر من شكل ويمتد إلى أكثر من اتجاه فهو صراع يرجع إلى بداية الخلق، مع قوة الشر المتمثلة بالشیطان، وصراع آخر معتركه العلاقات البشرية يلاحظ "أن الصراع المتنوع المتقابل قائم أيضاً في صميم العلاقات البشرية، تستقطبه دائماً، عبر مجراه الطويل، كلمتا الإيمان والكفر، أو الحق والباطل، وترفده جداول وأنهار متشابكة تجيء من هذا الاتجاه أو ذلك، ومن خلال هذا الصراع الطويل، تتحرك مياه التاريخ، فلا تترك ولا تسكن، وتحفظ بهذا قدرتها على الجودة والنقاء"².

الإرادة الحرة والاختيار المفتوح للإنسان ينتج عنه عدم توحيد البشر وبالتالي حدوث الصراع "وإن حكمة الله تعالى شاءت، حتى بالنسبة للكتلة الواحدة أو المعسكر الواحد، أن يكون ثمّة انقسام وتغير وتنوع وصراع فهذه هي طبيعة العلاقات البشرية ما دامت تمارس حريتها في الأخذ والعطاء، وتلك هي إرادة الله المسبقة في أن تكون حياة الناس مغايرة نوعاً لحياة الخلائق الأخرى"³.

ويشير منظرو التفسير الإسلامي للتاريخ أن الأكثرية البشرية دائماً ترفض الحق الذي تمثله القلة الرائدة وعدم انتمائها للصف القلة، وهذا راجع لعدم تحملها للتضحية

¹ المصدر نفسه، ص234.

² نفسه، ص235.

³ نفسه، ص238-240.

والعطاء الدائم الذي تقدمه القلة المبدعة، كما أن مصادر القوة والطاقة لا تتمثل في الكم بل العامل الحاسم هو الكيف¹، وبالتالي يقر أصحاب التفسير الإسلامي للتاريخ بدور القلة المبدعة الرائدة فليس كل الناس عمر ابن الخطاب أو يوسف ابن تاشفين².

ومن هذا يتضح أن التفسير الإسلامي للتاريخ يقول بدور البطولي للتاريخ وليس التفسير البطولي للتاريخ³، حيث أن التفسير الإسلامي للتاريخ يفسح المجال للقلة الرائدة التي استطاعت تحقيق النصر الداخلي الذي بدونه لن تغلح في النصر الخارجي، وتحمل هؤلاء المتفوقون مسؤولية توجيه التاريخ وتشكيل حركته لكن هناك شرط لا بد من توفره وهو تنظيم مسيرة الجماهير وراءهم، وإن لم يتوفر هذا الشرط فسيصعدون وحدهم، وبالتالي تتميز تجربتهم بالفردية ولا تكون كافية لتعمم على مسيرة الأمة بكاملها⁴.

يقول الدكتور عماد الدين خليل "إن البطل في التاريخ، نبيا أو غير نبي، لكي يلعب دوره الحاسم، لا بدّ أن يستكمل شرطين أساسيين:

– يتعلق بتكوينه الذاتي الخاص.

– ويتعلق بالعالم الذي يضطرب فيه عبر دوائره التي تبدأ بعلاقاته الضيقة ثم

تتسع عبر الإقليم والوطن والجماعة والشعب والأمة، لكي تشمل العالم كله"⁵.

¹ المصدر نفسه، ص241.

² عبد الحلیم عویس: فقه التاريخ، ص20.

³ تعميم ماجد عرسان على أن بعض أصحاب التفسير الإسلامي للتاريخ يقولون بالتفسير البطولي للتاريخ، ويوضح عماد الدين خليل هذه النقطة وينفي عن التفسير الإسلامي للتاريخ التفسير البطولي وفي المقابل يقر بالدور البطولي للتاريخ في مقال له بعنوان "حول المنهج في الكتابة التاريخية -تعقيب على كتاب هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس (ماجد عرسان الكيلاني)-"، مجلة أسلمة المعرفة، ع:(13) 1998م.

⁴ عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي، ص164.

⁵ عماد الدين خليل: دراسة في السيرة النبوية، ص39.

والهدف من الصراع في التفسير الإسلامي للتاريخ أنه يسعى إلى تحريك¹ الحياة وتقدمها نحو الأحسن، وتجاوز مواقع الركون والسكون والفساد.²

ويوضح السيد قطب الهدف من الصراع في تفسيره لهذه الآية ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ

النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾³

"وهنا تتوارى الأشخاص والأحداث لتبرز من خلال النص القصير حكمة الله العليا في الأرض من اصطراع القوى وتنافس الطاقات وانطلاق السعي في تيار الحياة المتدفق الصاخب الموارد وهنا تتكشف على مد البصر ساحة الحياة المتزامية الأطراف تموج بالناس، في تدافع وتسابق وزحام إلى الغايات ومن ورائها جميعاً تلك اليد الحكيمة المدبرة تمسك بالخيوط جميعاً، وتقود الموكب المتزاحم المتصارع المتسابق، إلى الخير والصلاح والنماء، في نهاية المطاف"⁴.

يعتمد الصراع اتجاهين "ذاتي عامودي" يتمثل في مواجهة الإنسان لنفسه وقد سماه الرسول صلى الله عليه وسلم الجهاد الأكبر وآخر "خارجي أفقي" ويطلق القرآن

¹ تبدأ التفسيرات الوضعية من الحركية وتنتهي للسكون، حيث تسعى الهيجلية والماركسية إلى عالم لا صراع فيه عالم يسوده السلام والمحبة، فتخالفان بذلك الواقع وتناقضان مذهبهما اللذان يبدآن بالحركة فإذا بهما ينتهيان إلى سكون غير واقعي ويذكر عبد الحميد صائب أن عماد الدين خليل لا يخالف الهيجلية والماركسية وحسب بل يخالف فكرة السيد محمد الصدر (المجتمع المعصوم) الذي جعله غاية التخطيط الإلهي لتاريخ البشرية وفي قول عماد الدين خليل "فيبدو الصراع أحيانا إرادة ذاتية تسعى إلى توحيد ذاتي فيوجدان الإنسان ومع المحيط الخارجي" يلتمس عبد الحميد صائب إمكانية تحقيق عالم موحد وفي هذا انتصار للسيد محمد الصدر وهيجل وماركس، لكن الدكتور صائب غفل عن حقيقة وهي هل تحقق هذا أم لم يتحقق؟! وهو اتفق مع المذاهب التفسيرية الوضعية في عدم الانطلاق من تجارب واقعية مثلما انطلق القرآن الكريم، صحيح تسعى الإرادة الذاتية إلى تحقيق هذا لكن لن تحقق ويبقى هذا دافع يدفع بها نحو الصراع، وهيجل وماركس والسيد محمد الصدر اجتهاداتهم مبنية عن افتراضات. انظر عبد الحميد صائب: فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي، ص 608.

² عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص 242.

³ سورة البقرة، الآية: 251.

⁴ سيد قطب: ضلال القرآن، ط 17، بيروت-القاهرة: دار الشروق، 1412هـ، ص 270.

والسنة عليه مصطلح الجهاد؛ وهو يتضمن كل مظاهر الصراع الخارجي مذهبياً، سياسياً، عسكرياً، أخلاقياً، اقتصادياً، وحضارياً¹.

وتجدر الإشارة إلى أن الصراع يأخذ عدة أشكال ففي شكله الإيجابي يتخذ أسلوب التعارف والتقارب والتعاون، ويتخذ في شكله السلبي أسلوب القتال بالسلاح، وبالتالي فالصراع ليس دائماً قوة إيجابية تقود التاريخ نحو الأمام ففي هذا نوع من المبالغة المشوبة بالنزعة المثالية، ففي الواقع أن الصراع أحياناً يؤدي إلى تفتت التجربة التاريخية وسقوطها².

ويختلف منظرو التفسير الإسلامي فيما بينهم حول قضية الصراع حيث خالف الدكتور عبد الحليم عويس الدكتور عماد الدين خليل في أن العلاقة بين الإنسان والطبيعة هي علاقة صراع فهو يرى أن العلاقة علاقة تدافع أو كما يسميها هو "استئثار" وليست صراع، فالطبيعة مسخرة للإنسان لأن الأرض في الإسلام جعلت مسجداً، والدهر لا يجوز سبه، وكيف يكون الأمر صراعاً مع أن الكون كله يسبح لله³.

ولكن الصراع عند عماد الدين خليل متعدد حيث يقول أن "ثمة طيف واسع من الأساليب (أو الأشكال) للصراع فهو يتخذ في أقصى طرفه السلبي أسلوب القتال بالسلاح، ويتخذ في طرفه الإيجابي أسلوب التعارف والتقارب والتعاون"⁴.

¹ عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص 246.

² المصدر نفسه، ص 244-251.

³ عبد الحليم عويس: فلسفة التاريخ، ص 198.

⁴ عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص 250.

ج- سقوط وقيام الدول والحضارات:

حظيت حتمية سقوط الدول والحضارات على إجماع من مذاهب التفسير¹ بما فيها التفسير الإسلامي للتاريخ فهو يؤكد على هذه الحتمية لكنها حتمية تفاؤلية أو ما يسمى بقانون المداولة الذي يقر بحتمية سقوط الدول والحضارات ويقر في نفس الوقت إمكانية العودة والقيام من جديد لكن لا يتحقق هذا إلا وفق شروط إذا توفرت حق لها القيام، وأول هذه الشروط التغير الداخلي ويراهن أصحاب التفسير الإسلامي للتاريخ على هذه المسألة في قيام الدول والحضارات فالتفسير الإسلامي "يطرح مبدأ التغير الذاتي مقابل حتمية السقوط، والمداولة كوسيلة للاستعادة، ولا نقول للاستمرار"² وبالتالي لا يوجد صعود دائم ولا سقوط دائم ولا بد من توفر شرط التغير ولا فرق في ذلك بين السقوط والصعود³.

وهذا يقودنا إلى القول أن "سقوط الحضارات يكون من داخلها والغزو الخارجي ما هو إلا عاصفة تأخذ من الأشجار إلا التي ليس لها جذور أو التي عندها جذور قوية وجسمها مريض فيقتلع الجسم وتبقى تلك الجذور ربما تبني جسم آخر سليم"⁴ ونذكر بعض أسباب السقوط كما يراه أصحاب هذا الاتجاه وهي: وجود قيادة ظالمة وقاعدة ساكنة خانعة قابلة بالظلم، واجتماع الترف والحرمان، وتفشي الأخلاق الهابطة، وافتراد التوازن بين الروح والمادة، إن السقوط نتيجة منطقية لمخالفة شروط الاستخلاف⁵.

¹ التفسير المثالي والمادي والحضاري والتفسير الإسلامي للتاريخ كذلك لكنها حتمية تفاؤلية أي إمكانية القيام من جديد وفق قانون المداولة.

² عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص 261.

³ نعمان عبد الرزاق السامرائي: في التفسير الإسلامي للتاريخ، ص 125.

⁴ عبد الحليم عويس: فلسفة التاريخ، ص 151.

⁵ عماد الدين خليل: التفسير الإسلامي للتاريخ، ص 266.

ويقدم أصحاب التفسير الدواء لداء السقوط إلا أن السقوط لا بد أن يحدث ومستحيل أن تستمر الدول والحضارات وإنما المقصود هنا استعادة الدور الريادي والحضاري للدولة أو الحضارة، ومن أجل هذا لا بد من الجهاد، بتغيير ما بالنفس باتجاه الالتزام بالقيم الأخلاقية التي جاء بها الدين، والعمل على إتاحة حرية الاعتقاد للإنسان حيثما كان هذا الإنسان، "الجهاد الذي هو مبرر وجود الجماعة الإسلامية في كل زمان ومكان، أو مفتاح دورها في الأرض، وهدفها العقيدي، ومعامل توحيدها، وضمان ديمومتها وتطورها وبدون هذه الحركة الجهادية، يسقط هذا المبرر، ويضيع المفتاح، وتفقد الجماعة المسلمة قدرتها على التوحد والتماسك والاستمرارية والبقاء"¹.

من خلال المسألة الحضارية وما احتوته من قضايا كالمنظومة الحضارية وقضية الصراع وكذلك سقوط الدول وقيامها تبين أهمية وشمولية التفسير الإسلامي للتاريخ وقدرته على التصدي لتفسير التاريخ البشري كله.

¹ المصدر نفسه، ص 292.

ثانياً: التطبيق

عرفنا في جزء التنظير من التفسير الإسلامي للتاريخ أن البعد الغيبي من أبرز سماته فكيف سيكون هذا البعد في التطبيق؟ وهل حقا يحتل منه تلك المساحة المشار إليها في التنظير؟

1. البعد الغيبي في حركة التاريخ

يعتبر البعد الغيبي من الصفات البارزة في التفسير الإسلامي للتاريخ ويظهر تغلغل هذا البعد في كتابات المنظرين كثيرا ففي دراسة عماد الدين خليل لسيرة النبوية قال: "ليس بإمكان أي مؤرخ أن يحدّد الأبعاد الكاملة لطبيعة اللقاء الأول، وما تلاه من لقاءات بين الوحي الكريم وبين محمد صلى الله عليه وسلم وما دام الأمر في امتداده وغيابه يندّ عن المشاهدة المباشرة والفحص التجريبي باعتباره أمرا (غيبيا)، فليس من السهل أن نخوض فيه، كما أنه ليس من السهل أن نخوض في أي من الأمور الغيبية التي لم يتح لأجهزتنا الحسيّة والعقلية التعامل معها، والإحاطة بأبعادها علما"¹.

وفي المقابل يبرز فشل المناهج الغربية في تفسير البعد الغيبي حيث يقول "وكل المحاولات- الشرقية والغربية- التي جهدت من أجل تحليل تجربة (الوحي) تحليلا يخضعها في نهاية الأمر للمعرفة البشرية المحدودة، وقعت في الخطأ من حيث أنها اعتمدت الظن والتخمين في مسألة من أخطر المسائل الغيبية والأهم من ذلك هو ما تمخض عنه هذا الأسلوب الإلهي في تعليم البشرية، والذي يعدّ من المصادر اليقينية للمعرفة"².

¹ عماد الدين خليل: دراسة في السيرة، ص79.

² المصدر نفسه، ص79.

إننا لنلمس البعد الغيبي حاضرا بقوة في حادثة الإسراء والمعراج فقد "جاءت حادثة (الإسراء والمعراج) تثبيتا للرسول صلى الله عليه وسلم على طريق المقاومة الطويل، رفعه إلى قلب السماوات وهو مدى رحيب يتجاوز أبعاد الملموس والمسموع والمنظور، وينأى عن الأحجام المباشرة للأشياء، ويمتد بعيدا صوب الآفاق التي بإيمان الإنسان بها وحركته صوبها يغدو إنسانا وإلا فهو كالأنعام"¹.

وانتقاد عماد الدين خليل للمناهج الغربية ما هو إلا دليل يضاف إلى تطبيقه للبعد الغيبي "ولا ريب أن اعتماد (المقاييس المادية) لفحص الدوافع التي قادت المسلمين وغير المسلمين للانتماء إلى الدين الجديد أو إلى أية عقيدة أو دين، أمر يرفضه واقع (التجربة) في أبعادها الشاملة الرحبية، فلم يكن البحث عن (الحق) والتشبث في الانتماء إليه، أمر معدة تبحث عن طعامها وجسد يرنو إلى الإشباع، بقدر ما هي مسألة نفسية متكاملة يلعب فيها الضمأ الروحي واليقين الفكري والقناعة الذاتية دورها الأول والأخير"².

وأنت تدرس الإنسان وأهميته باعتباره الصانع الأول للحضارة يبرز البعد الغيبي بقوة، فالإستخلاف بعد غيبي، والتكريم كذلك والسجود الملائكة له وتعلم الأسماء كلها تتدرج تحت البعد الغيبي، ويلفت أنظارنا عبد الحليم عويس إلى نقطة مهمة نستطيع من خلالها أن ندرك تغلغل البعد الغيبي في حاضر الإنسان يقول "نفهم من كتاب الله تعالى أن الحياة الإنسانية تقوم على دعامتين توازن كل منهما الأخرى حتى لا ينحدر الإنسان إلى حضيضها، وينهك قواه في أشيائها، فالحياة الدنيا في جانب: ﴿وَمَا هَذِهِ

¹ المصدر نفسه، ص 91.

² نفسه، ص 81.

أَلْحَيَوَةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوَ وَلَعِبٌ ﴿١﴾ لكنها في الجانب الآخر ﴿٢﴾ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴿٣﴾

ويظهر أيضاً البعد الغيبي في تفسير الانتصارات التي حققها المسلمون رغم قلتهم مقارنة بأعدائهم "كان مقاتلو بدر قد تلقوا ساعة الصمود والصبر معونة سماوية قدرت بألاف من الملائكة مردفين! كما تلقى الرجال الذين قاوموا وراء الخندق، فيما بعد، عشرين ليلة، باذلين كل جهودهم وإمكاناتهم، معونة إلهية أخرى جاءت على شكل ريح عاتية لم تدع للمعسكر الوثني، بعد التصدع النفسي الذي أصابه، فرصة للتجمع والتفكير والاستقرار، فكان الانسحاب ذلك هو منطلق العون الإلهي الذي علمنا إياه الإسلام منذ تجربة الهجرة وما قبلها"⁴.

¹ سورة العنكبوت، الآية: 64.

² عبد الحليم عويس: "الظاهرة الحضارية في القرآن والسنة"، مجلة البحوث الإسلامية، ع: (21)، 1408هـ، ص165.

³ سورة القصص، الآية: 77.

⁴ عماد الدين خليل: دراسة في السيرة، ص170.

2. القوانين والسنن التي تحكم حركة التاريخ:

وننطلق من مقولة عماد الدين خليل عن السنن والقوانين ليتبين لنا حضورها في التفسير الإسلامي "إن القوانين والسنن الطبيعية التي تدير السماوات والأرض إلى غاياتها المرسومة في علم الله، والطاقات التي تحتويها هذه الكتلة الكونية هي في كل زمان، والذي يتاح له الاطلاع على بعض جوانبها وفعاليتها يستطيع أن يأتي بالعجب العجاب، وأن يتحدى الوقائع المألوفة ويتجاوز تحديات المكان والزمان"¹.

ونرى محاولة تطبيق تجاوز تحديات المكان والزمان في قوله "لحظة من لحظات تجاوز الأبعاد والحوجز الزمانية والمكانية تعتمد السنن نفسها التي نقل فيها عرش بلقيس وأسري بالرسول صلى الله عليه وسلم إلى القدس ثم عرج به في جزء من ليلة إلى أقصى الكون، السنن التي جعلت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فيما بعد يصرخ وهو في مسجد المدينة (يا سارية الجبل الجبل) سارية الذي كان يقاتل في العراق ويتعرض وجنده لكمين قاتل"².

ويحدثنا عماد الدين خليل عن كتاب عبد الحليم عويس المسمى أوراق ذابطة من حضارتنا -دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية-، حيث قال "مكتفا في بدء عرضه للدويلة أو في ختامه، القوانين والسنن التي قادت التجربة إلى البوار وهو التكتيف الذي اعتمده في كتابه كله والذي يعد بحق ابرع ما في البحث رغم تعميمه أحيانا"³، ولنرى بعض من هذا التكتيف في السنن والقوانين التي ذكرها عبد الحليم عويس لنتمكن في الأخير من معرفة مدى تطبيقهم لعنصر القوانين والسنن التي تحكم حركة التاريخ.

¹ المصدر نفسه، ص100.

² نفسه، ص101.

³ عماد الدين خليل: في التاريخ الإسلامي فصول، ص174.

ذكر عويس في سقوط الأندلس "ولكن قانون الحضارة كان قد قال كلمته فإن الذين فشلوا في أن يخلقوا من أنفسهم قوة قادرة على الحياة ما كان ينفعمهم أن يشترخوا النصر أو يستوردوه نعم: أدركوا أن التاريخ لا يقوم بالاستيراد، ولا تنتصر حركة تقدمه بالمتسولين! يتسولون النصر من عند الأعداء ومتى أصبح الداء دواء"¹.

وذكر في سقوط الدولة الطولونية هذا القانون "الانتصار في معركة والحصول على مكسب وقتي والوصول إلى السلطة هذه كلها ليست هي قضية التاريخ فحين لا تتوافر العوامل الحقيقية للنصر يصبح أي نصر مرحلي عملية تضليل، واستمرارا للسير الخطأ، وتماديا في طريق الوصول إلى الهزيمة الحقيقية هكذا سار التاريخ في مراحل كثيرة من تطوراته كان النصر بداية الهزيمة، وكانت الهزيمة بداية للنصر!"².

المعادلة الحضارية التي لم يستطع بنوا أمية أن يصلوا الفقه الصحيح بها "فإن كل فكرة خلاقة تولد طاقة توسعية هائلة بما تغرسه في نفوس أتباعها من حماسة للدعوة"³، وذكر في موطن آخر عنهم "ومن حقائق التاريخ التي نستفيدها من الوعي به وبقوانينه، أن الدولة التي لا تفهم طبيعة تكوينها، وتعمل على إيجاد حل دائم ملائم لهذه الوضعية، تكون معرضة للزوال وهذا هو الأمر الذي آلت إليه أمور بني أمية في الأندلس بعد حياة دامت قريبا من ثلاثة قرون"⁴.

ويحدثنا عماد الدين خليل عن قانون استخلصه من القانون الثابت في كتاب الله قال: "إن أمة تتميز بالتحضر والحيوية -وهما بلا شك أمران متلازمان- بمقدورها أن تحيل كل ظواهر الهدم في جسم الأمة إلى قيم إنشاء وإبداع وبناء، لأن الإنسان هو

¹ عبد الحليم عويس: أوراق ذابطة من حضارتنا، ص31.

² المصدر نفسه، ص60.

³ عبد الحليم عويس: بنو أمية بين السقوط والانتحار دراسة حول سقوط دولة بني أمية في المشرق، ط1، القاهرة: دار الصحوة، 1407هـ/1987م، ص81.

⁴ عبد الحليم عويس: أوراق ذابطة من حضارتنا، ص23.

الذي يتحكم في صياغة الظروف الخارجية، إن امتلك زمام نفسه وسعى دوماً إلى ممارسة عملية التغيير الذاتي التي أعلنها القرآن الكريم في قانونه الثابت¹.

3. الصراع والحركة التاريخية:

وفي الصراع نلاحظ حضور التطبيق في قولهم "إن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم تعلمنا كيف يرتبط تاريخ الدعوات بالحركة حركة الإنسان الفرد وحركة الجماعة، كما تعلمنا أنه ليس من المحتم أبداً أن تكون (الحركة) صدورا عن صراع النقيضين كما أكد هيغل وماركس وغيرهما، بل إنها في كثير من الأحيان تجيء بمثابة استجابة داخلية، مقرونة بعمل خارجي، لنداء من فوق إن هذا الحوار بين القيم العليا والوجود السفلي هو الذي يحرك - في أحيان كثيرة - أحداث التاريخ على خط صاعد"².

والصراع كما عرفنا في التنظير ليس مجرد صراع النقيض بل هو أشمل من هذا، "ومن الخطأ والتزيف أن نصدر حكماً على كل حركات التاريخ بأنها جاءت نتيجة لصراع النقيضين"³.

يؤكد عماد الدين خليل هذا بقوله "إن الصراع نفسه يتخذ أشكالاً عديدة لا تقتصر على تقابل الضدين وتغلب أحدهما على الآخر إنه يبدو - أحياناً - إرادة ذاتية تسعى إلى التوحد والانتماء الذاتي في وجدان الإنسان ومع المحيط الخارجي، ويبدو أحياناً أخرى رغبة فعالة في تحقيق تفاهم متبادل وسلم عام بين الإنسان والوجود وهو يبدو أحياناً ثالثة عملية استقطاب للقوى والطاقات، وتنظيم لها، وحماية لمقدراتها من

¹ عماد الدين خليل: حول القيادة والسلطة في التاريخ الإسلامي، ط1، مصر: مكتبة النور، 1405هـ/1985م، ص54.

² عماد الدين خليل: دراسة في السيرة، ص119.

³ المصدر نفسه، ص119.

أجل أن تصبّ جميعاً في مجرى المبادئ الجديدة والدعوات الكبرى" وهذا ما حدث في السيرة النبوية من خلال تجربة الهجرة¹.

ومن النتائج المتمخضة عن صلح الحديبية نستشف شكل من أشكال الصراع وهو "إشعار الناس جميعاً أن علاقات الإسلام بالقوى الأخرى ليس شرطاً لها أن تظل قائمة على الحرب والعنف والقتال، وأن بالإمكان أن تسودها فترات من السلم والتهادن والتعايش المشترك على خلاف المذاهب والاتجاهات"².

وكما أسلفنا الذكر في التنظير أن الصراع يكون في مستويان على مستوى الطبيعة وعلى مستوى الإنسان ويظهر هذا الأخير في التفسير الإسلامي بقوة على الأقل أكثر من الأول -على مستوى الطبيعة- ربما لأن النماذج المختارة لا تستدعي هذا وكما أشرنا سابقاً أن الصراع يعتمد على اتجاهين "ذاتي عامودي" يقصد به صراع الإنسان لنفسه أي الجهاد الأكبر والثاني "خارجي أفقي"، ويقصد به الصراع على كافة الأصعدة وهو الجهاد بصفة عامة³.

قام عماد الدين خليل بتطبيق الاتجاهين من خلال نموذج عمر بن عبد العزيز الذي قام بصراع في الاتجاه الذاتي العامودي وحقق فيه انتصاراً كبيراً ومن خلال هذا الانتصار دخل في الصراع مع الاتجاه الثاني الخارجي الأفقي⁴، "فقد بدء عمر فيه من داخل نفسه ووجدانه ثم أهله وبيته ثم داخل بلاطه رافعاً شعار (إنه لينبغي أن لا أبدأ بأول من نفسي) ثم ينتقل للعمل في الخارج وهذا الطريق هو نفسه الطريق الذي سلكه رسول الله صل الله عليه وسلم ثم الخلفاء الراشدون من بعده"⁵.

¹ المصدر نفسه، ص119.

² نفسه، ص185.

³ عماد الدين خليل: دراسة في السيرة، ص246.

⁴ عماد الدين خليل: ملامح الانقلاب، ص103-104.

⁵ المصدر نفسه، ص113.

وقد عرفنا في التنظير أن التفسير الإسلامي للتاريخ يقر بالدور البطولي في التاريخ فكيف هو الحال مع التطبيق؟

ونجد تطبيق الدور البطولي في إشارة أوردها عماد الدين خليل في قوله "إن اهتمام الناس بأبطالهم يقتفي أثر النواميس الطبيعية ذاتها، فحيثما تجمعت الأضواء في جانب حيثما زادت الظلال المجاورة عتمة وخفاء وما أن يبرز البطل فجأة على مسرح الأحداث حتى تسلط عليه الأضواء فلا يتبقى من سيرته أية مساحة غير معرضة للإنارة والتلوين لكنه قبل أن يظهر قبل أن يجيء من وراء الكواليس، يحيطه الغموض، ويصعب على الناظرين تمييز جل مساحات حياته مهما امتدت سنو هذه الحياة"¹.

ومن قوله هذا يمكن أن نستشف حجم الهالة التي تمنح للبطل عندما يشرق نجمه في المقابل ظلام دامس على حياته قبل البطولة، ويؤكد لنا الأستاذ لخضر بولطيف هذا في معالجته لموضوع "معادلة الإنسان والمكان في الفتح الإسلامي لبلاد المغرب من خلال سيرة القائد عقبة بن نافع الفهري" حيث يبين المرحلة التي يلفها الغموض من حياة هذا القائد العظيم وذلك من خلال الإفادة المتناثرة في ثنايا المصادر، ليخلص إلى وجود مفاهيم مغلوبة عن هذا القائد الفذ ويقوم بتصحيحها².

ويكمل الدكتور عماد الدين خليل طرحه عن سيرة خير الوري فيقول "وبين هذه الأحداث المرئية الأبعاد جميعا لمحات غير مرئية الأبعاد، ذات دلالة عميقة، أكدتها الروايات والأسانيد، جاءت بمثابة إرهابات أولية عن أن هذا الإنسان سيلعب دوره في القضية الكبرى في تاريخ البشرية، قضية الحوار المفتوح بين السماء والأرض الخير العميم الذي راح يتدفق في مضارب مرضعته حليلة بعد إعسار وجفاف، شق صدره

¹ عماد الدين خليل: دراسة في السيرة، ص38.

² لخضر بولطيف: الفقه والتاريخ، ص25-44، 26.

واستخراج علقة سوداء من قلبه قبل أن يفتتح وعيه على الحياة إشارات أولى عن نبوته تصدر عن الراهب (بحيرى) على تخوم الشام¹.

ويذكر أن الرسول صلى الله عليه وسلم اجتمعت له الظروف البيئية والوراثية التي ساهمت في تشكيل شخصيته ومنحته الصفات الخلقية والخلقية واجتمعت لكي تجعل من محمد صلى الله عليه وسلم الإنسان المهيأ لتحمل المسؤولية التي أنيطت به بعد أربعين سنة من ميلاده²، "ومن مرارة اليتيم ووحشة العزلة وانقطاع معين العطف والحنان، قبس الرسول صلى الله عليه وسلم الصلابة والاستقلال والقدرة على التحمل، والإرادة النافذة، والتحدي الذي لا تتكسر له قناة، وبالفقر والحرمان تربي ونما بعيدا عن ترف الغنى وميوعة الدلال وتكالية الواجدين"³.

و من خلال مناقشة الدكتور عماد الدين خليل لقضية ترشيح أبي بكر لعمر بن الخطاب يظهر لنا تركيزه على الأقلية الرائدة والطلیعة المبدعة التي أشرنا إليها سابقا "هل صحيح أن احد أسباب ترشيح أبو بكر لعمر هو أن عمر كان وراء انتخاب أبو بكر الصديق في السقيفة؟! فلماذا كان جواب الرعية عندما قال لهم أبو بكر "أَنْتَرَضُونَ بِمَنْ أَسْتَخْلِفُ عَلَيْكُمْ؟ فَقَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا" ويتساءل عماد الدين خليل في عجب "اما كان بمقدورهم وهم الطليعة التي ربيت على النقد والمجابهة المكشوفة أن يعربوا عن سخطهم أو رفضهم لهذه الطريقة التي اعتمدها أبو بكر لاستنادها على خلفيات المصلحة المتقابلة في الوصول إلى السلطة؟"⁴.

¹ عماد الدين خليل: دراسة في السيرة، ص38.

² المصدر نفسه، ص39.

³ نفسه، ص40.

⁴ عماد الدين خليل: في التاريخ الإسلامي فصول، ص21.

من هذا يمكن أن نستخلص إبراز الدور البطولي للصحابة، بحيث أن خطاب أبو بكر الصديق يعد دافعاً على النقد والمعارضة والرفض في حالة وقوع الخليفة نفسه في الخطأ وخطبته كانت في عز قوته فكيف يقدم على خطأ كبير في تولية الرجل الغير المناسب -مجرد افتراض- لا لشيء إلا لأنه أعانه على القدوم للسلطة اعقل أن رجلا ترك الله ورسوله لأهله من اجل هذه الأمة أن يخونها في آخر المطاف!!! كلا وليست الحياة البشرية محض مصالح وصراعاً عليها¹.

ويظهر أيضاً التصريح الواضح على الدور البطولي وتطبيقه في خلافة عمر ابن عبد العزيز، "مئات الأمثلة والوقائع والشهادات كل واحدة تسند الأخباريات وتؤكددها وتقويها كل واحدة تتناغم مع الأخباريات وتتوافق وتحيل حياة عمر إلى سيمفونية بطولة لم يشهد التاريخ لها مثيلاً إلا في القليل النادر"².

ويبرز أيضاً الدور البطولي عند عبد الحليم عويس في سقوط الدول وقيمتها بقوله "لقد تمثلت قوة الدولة الحمدانية في شخص، وكعادة الدول التي ترتبط بأشخاص تسقط بسقوطهم"³. وفي هذا دلالة على حضور الدور البطولي في التفسير الإسلامي للتاريخ وليس التفسير البطولي لمجرد أنه أقر بدور البطولي الذي لا يمكن بأي حال من الأحوال إغفاله.

وكما أشرنا سابقاً في قضية الصراع فهي ليست محل اتفاق بين منظري التفسير الإسلامي للتاريخ، إلا أنهم يتفقون حول هدف الصراع وهو الحركية وتجنب السكون وبهذا يخالف التفسير الإسلامي للتاريخ التفسيرات الأخرى التي انطلقت من الحركية وآلت إلي السكون، ونعود إلى الاتفاق حول الهدف من الصراع فنجد اتفاق

¹ المصدر نفسه، ص21.

² نفسه، ص33.

³ عبد الحليم عويس: أوراق ذابطة من حضارتنا، ص87.

عماد الدين خليل وعبد الحليم يقول عبد الحليم عويس: "ولكن مهما يكن فهذه هي طبيعة المسيرة البشرية، ولم يقدم لنا التاريخ على كثرة ما قدم مدينة فاضلة خلت من كل النوازع البشرية وخلت من الصراع والمد والجزر!!"¹.

ونلمس الهدف المشار إليه من خلال الإشارة المذكورة في كتاب دراسة في السيرة حيث يقول المؤلف "أن هذا الدين ليس دين عرب، وإنما هو دين الإنسان حيثما كان هذا الإنسان ونداء إلى السلطات الحاكمة أن تستجيب للدعوة أو تسمح لدعاتها بممارسة نشاطهم بحرية ولشعوبها في مقابلة هؤلاء الدعاة والاستماع إليهم لكي يختاروا عقيدتهم على بيّنة... وتخرج الناس من ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده"².

ونذكر بعض الأساليب من الصراع في التفسير الإسلامي ونلاحظ مدى تطابقها مع التنظير.

– الصراع في شكله الإيجابي:

"كان الرسول صلى الله عليه وسلم يستهدف من حرصه على السلم تأليف القلوب وتوحيد كلمتها لتقبل على الإسلام، فلم يكن من السهل على قريش أن تقبل بمصيرها الذي آلت إليه وهي سيدة العرب دون منازع لأنها أعظمهم حضارة وأشدهم بأساً وأكثرهم مالا وفي بلدها البيت الحرام"³.

– الصراع في شكله السلبي:

"ورغم قلة الروايات وانعدامها أحيانا، فإننا نستطيع أن نجزم بأن اليهود وقفوا طيلة الصراع المكي، الذي دام ثلاثة عشر عاما، وراء قريش يتبادلون معها الوفود

¹ المصدر نفسه، ص103.

² عماد الدين خليل: دراسة في السيرة، ص244.

³ المصدر نفسه، ص207.

ويتصلون بها سرا من أجل أن يشددوا قبضتهم على النبي العربي، وأن يشلّوا حركته قبل أن يشتد ساعدها وتغدو قادرة على اكتساح كل ما يقف في طريقها، ليصدّها عن هدفها المحتوم، وثنيا كان أم يهوديا"¹.

وكما ذكرنا في التنظير أن الصراع ليس كله خير فقد يكون ردة عكسية تجني على الأمة البوار والدمار ونلمس تطبيق هذا من خلال هذه العبارة "تجميد الصراع ضد قريش، ذلك الذي استغرق معظم مساحات الدرب الطويل الذي اجتازته الدعوة الإسلامية، والالتفات إلى الجهات الأخرى لغرض التركيز عليها، سيما بعد التصعيد الذي شهده الصراع ضد اليهود من جهة، وضد البيزنطيين وحلفائهم نصارى العرب من جهة أخرى"².

فلولا الصراع مع قريش الذي استنفذ من طاقة المسلمين ما استنفذ لكان انتشار الدعوة على الجبهات الأخرى أسرع مما كان عليه، ولكن الصراع كما أشرنا إليه وفي شكله السلبي أدى للوقوع في هذا التأخر -وهو أمر سلبي- الذي لا نتفق مع عماد الدين خليل حوله لأن الالتفات إلى الأصعدة الأخرى يتطلب القوة والمراس في الحرب، وتخطي العقبات يزيد من الصلابة والخبرة لذا كان في المدى البعيد أمر إيجابياً.

ويظهر الصراع في وجهه السلبي كما بيّن عبد الحليم عويس في سقوط الدولة الأموية هذا بقوله "لقد تشكلت طبقة تعطي نفسها امتيازاً جنسياً غريب الشكل فهي لمجرد أنها من البيت الأموي، فإن هذه الطبقة سرعان ما يحاول كل واحد منها الحصول على حق أكثر شرعية جنسية لكي يصل إلى الحكم، وبالتالي يلجأ إلى الدس

¹ عماد الدين خليل: دراسة في السيرة، ص 268.

² المصدر نفسه، ص 185.

والخديعة والقتل والاعتقال ويسود الطبقة الحاكمة جو من الصراع الداخلي يمنعها على أن تؤدي للأمة أي شيء¹.

فالصراع الداخلي يشل القيادة للمضي بالأمة نحو أهدافها وبالتالي عدم تحقيق الهدف المرجو من الصراع الذي يسعى نحو الحركية التقدم نحو الأمام ونبذ السكون.

4. سقوط وقيام الدول والحضارات:

ونجد تطبيق حتمية سقوط الدول موجود في القرآن الكريم كما ذكر عماد الدين خليل قال تعالى ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾² وقوله جل في علاه ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾³

ويقول عبد الحليم عويس وهو يناقش كتاب التفسير الإسلامي للتاريخ لصاحبه عماد الدين خليل أن العنصر الأخير من الكتاب الذي يحمل عنوان "سقوط الدول والحضارات" ما هو إلا حقلًا من التطبيق لمرحلة التنظير التي سبقته في المراحل الأولى⁴.

ويؤكد عبد الحليم عويس حتمية السقوط وهو يتحدث عن سقوط دولة الأدارسة "فانتهت إحدى الحركات الانفصالية في تاريخنا الإسلامي لأن السقوط وإن كثرت المقويات والمساعدات هو مصير كل الحركات الانفصالية"⁵.

¹ عبد الحليم عويس: أوراق ذابطة من حضارتنا، ص55.

² سورة الأعراف، الآية: 34.

³ سورة الحجر، الآية: 4.

⁴ عبد الحليم عويس: فقه التاريخ، ص41.

⁵ عبد الحليم عويس: أوراق ذابطة من حضارتنا، ص127.

ولكن الحتمية التي يطرحها التفسير الإسلامي للتاريخ ليست نفس الحتمية عند التفاسير الأخرى كما شهدنا في المرحلة التي سبقت هذه المرحلة -التنظير- فالحتمية التفاؤلية في مقابل الحتمية، وسنلاحظ كيف تم تطبيق هذه الحتمية التفاؤلية.

فالذي قام به عمر ابن عبد العزيز يؤكد هذه الحتمية التفاؤلية حيث استطاع السير على خطى الخلفاء الراشدين حتى صار واحد منهم، ويقول الدكتور عماد الدين خليل "ونحن في طريقنا إلى منجزات عمر الانقلابية، لابد أن نلاحظ تأكده الدائم على (الحق) يوازيه -قولاً وعملاً- تأكيد مشابه على (العدل)، ها نحن قد وصلنا إذًا إلى مفاتيح السياسة التي مارسها الخلفاء الراشدون وسار عمر بن عبد العزيز على هداهم فيها حتى نهاية الشوط"¹.

وسقوط الدول يكون من داخلها لا من خارجها هذا ما بيناه في التنظير وعرفنا أن العامل الخارجي لا يأتي إلا كنتيجة للوضع المتأزم في الداخل، ولنرى هل هناك ما يدل على هذا في التطبيق؟

نلتمس هذا من قول عماد الدين خليل في حديثه عن عمر ابن عبد العزيز "إن الخليفة الراشد يؤكد هنا، وقبل أي شيء آخر على أن النصر الخارجي فوق الأرض لا يتحقق إلا بعد انتصار المسلم في الداخل في كيانه ووجدانه، والا بعد أن يخوض معركة الجهاد الأكبر مع النفس"².

ويؤكد أيضا عبد الحليم عويس هذا بقوله "الانتصار في معركة والحصول على مكسب وقتي، والوصول إلى السلطة هذه كلها ليست قضية تاريخية ولا معركة تقدم

¹ عماد الدين خليل: ملامح الانقلاب، ص 61.

² المصدر نفسه، ص 103.

بشري اللهم إلا قاعدة التغيير من الداخل المرتكزة على عقيدة لها جذورها في أعماق النفس¹.

ويواصل قوله "ومن الخارج هبت أعاصير أخرى لا تقل ضراوة وعنفًا لكنها لم تكن لتؤدي مهمتها المدمرة لو أن الأمة امتلكت الحد الأدنى من مقتضيات البقاء التي أكد عليها الإسلام ودعى إلى تحقيقها صباح مساء"².

ذكرنا العديد من أسباب سقوط الدول في التنظير والمقام لا يتسع لتتبعها كلها في عملية التطبيق وسنختار سبب واحد وهو الترف على سبيل المثال لا على سبيل الحصر حيث يعتبره عبد الحلیم عويس السبب الأساسي في سقوط الأندلس وأن سقوط غرناطة لم يكن بسبب الحرب بل سقطت بفعل هذا السبب³.

قبل إصدار الحكم ننوه لنقطة مهمة ألا وهي عدم تطبيق الباحث لما قاله في بعض الزوايا لا يعني أنه لم يطبق ما نظر إليه وإنما هي الضرورة التي تستدعي على الباحث تطبيق ذلك التنظير أو تركه وبالتالي لا يمكن إصدار حكم في حقه فلو أن هذا الباحث دعى مثلاً لمسألة في الصراع لكن في البحث الذي يفترض فيه تطبيق لا يستدعي قضية الصراع فكيف يكون الحكم على هذا الباحث؟؟؟ إذا كان الحكم عليه في أنه زعم مالم يطبقه فنكون وقعنا في الذي يخيل لنا أنه وقع فيه!!، وبالتالي لا بد من الحيطة والحذر.

ومن هذا يمكن القول أن منظرو التفسير الإسلامي للتاريخ - عماد الدين خليل وعبد الحلیم عويس - من خلال النقاط التي تناولنها وهي البعد الغيبي، والسنن والقوانين

¹ عبد الحلیم عويس: أوراق ذابلة من حضارتنا، ص20.

² عماد الدين خليل: في الفقه الحضاري، ص23.

³ عبد الحلیم عويس: التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس، ط1، القاهرة: دار الصحوة، 1414هـ/1994م، ص30.

التي تحكم حركة التاريخ، والصراع في حركة التاريخ، والسقوط والدول والحضارات ك نماذج مختارة من التفسير الإسلامي للتاريخ وبحثنا هنا على تطبيق ما دعى إليه المنظرون في قسم التنظير أمكننا القول أن منظرو التفسير الإسلامي للتاريخ قد وفقوا إلى حد كبير في تطبيق ما دعوا إليه وهذا على ضوء ما توفر لدينا من نماذج أجري عليها عملية استقصاء التطبيق.

الفصل الثاني:

المقاربة التاريخية للمنظومات القيمية.. المرجعية والتجليات

أولاً: المرجعية

1. مفهوم القيم
2. أهمية القيم
3. مصادر القيم ومنابعها
4. خصائص القيم الإسلامية

ثانياً: التجليات

1. . مجال التحقيق
 2. . مجال التأليف
- أ- الدائرة المنهجية
- ب- الدائرة المعرفية
- ❖ دراسة المنظومات.
 - ❖ دراسة المدونات.
 - ❖ دراسة الخطابات.

أولاً: المرجعية

1. مفهوم القيم:

تعددت مفاهيم القيم وتتنوعت لكن معظمها يدور في اللغة العربية حول الاعتدال، والاستقامة، والمواظبة، والملازمة، والثبات على الشيء، وعدم الميل عن الحق والبعد عن الزيف، وهي الشيء الثابت المستقيم المعتدل الذي ينبعث عن الإنسان كسلوك تميل إليه النفس¹.

والقيم تمثل مجموعة الضوابط الفردية والجماعية التي يتحدد على أساسها السلوك والنشاط والحركة في مجتمع ما، ومن خلالها يحكم ويميز الفرد بين الخير والشر، النافع والضار، الحق والباطل وتكون للمجتمع منظمة لمختلف العلاقات التي تربط بين أفرادها فيما بينهم².

والذي يزيد القيم قوة ورسوخها في النفس عندما ترتبط القيم بمنظومة فكرية وعقائدية مطلقة تتمثل في الإسلام "فنتنفس من هوائه وتنتشر في سمائه ولا تجد في الواقع حاجزاً يمنعها من الامتداد في ذاتها إلا ما كان من مد وجزر في طبائع العباد من حيث استعدادهم للقرب منها في حالة الصفاء أو ابتعادهم عنها حين تتراكم حواجز المادة، وتتوارى إلى رجعة نسائم الروح"³.

¹ عبد الله محمد أحمد حريري: "القيم في القصص القرآني"، رسالة دكتوراه، قسم أصول التربية الدراسات العليا، جامعة طنطا، 1409هـ/1988م، ص47.

² المصدر نفسه، ص23.

³ خالد الصمدي: "مستقبل التربية على القيم في ظل التحولات العالمية المعاصرة"، مجلة البيان، ع: (194) شوال 1424هـ-ديسمبر 2003م، ص48.

عبر الإسلام عن القيمة بلفظ الخير وأحياناً أخرى بلفظ القيمة والمقصود بالقيم في الإسلام قيمة الأفعال والسلوك أي سلوك إنسان الراشد السوي يبتغي غاية من سلوكه¹.

إذا فالقيمة في الإسلام هي الخير والذي يكثر ذكره في مختلف المجالات وهذا راجع لعموم صفته وعمق دلالاته على الأخلاق وعلى كل ما يتصل بها من قيم روحية ومادية، أما لفظ "القيمة فإنه أخص في الاستعمال ويشير دائماً لمبادئ الإسلام وأحكامه الهادية المرشدة للناس في هذه الحياة الدنيا"².

وقد عرفت الباحثة زهوة أعزبي على أنها "جملة القيم الإسلامية الناتجة عن التراكم الأخلاقي والذي اعتمده الإسلام في بناء عقيدته وشريعته والتي تحدد منظوره إلى الحياة الإنسانية أو مسؤولية الإنسان باعتباره لم يخلق عبثاً وإنما كان مستخلفاً في الأرض مكلفاً بإعمارها مسؤولاً عن تحقيق رسالته فيها مكلفاً بتنمية قدراته وتركيبه نفسه وعبادة خالقه"³.

ما يأخذ على هذا التعريف "أن الإسلام اعتمد على التراكم الأخلاقي في بناء عقيدته وشريعته" وهذا غير صحيح لأن أمر العقيدة ليس ناتج تراكم الأخلاق وإنما هو ناتج تعاليم السماء وكذلك الأخلاق مع إقرار إتمام ما يمكن إتمامه من الأخلاق الحميدة المتبقية.

¹ عبد الله محمد أحمد حريبي: القيم في القصص القرآني، ص52.

² المصدر نفسه، ص138-139.

³ زهوة أعزبي: "ملامح المنظومة القيمية لمجتمع الغرب الأوسط من خلال العصر الزباني جدل الواقع والمثال"، مشروع رسالة دكتوراه ل.م.د، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 1435هـ/2014م، ص2.

2. أهمية القيم:

للقيم أهمية كبيرة وذلك لتغلغلها في الحياة البشرية وارتباطها بمعنى الحياة فهي التي تعطي للحياة معنى¹، ويفضل القيم يعمل الناس في حالاتهم الطبيعية من الاستقرار والاعتزان أفراداً أو جماعات وبيذلون الجهد والوقت في سبيل الحصول على أشياء يعتقدون أنها من الواجبات التي لا بد لهم من السعي فيها حتى يصلوا إليها ليحققوا بذلك أملهم، ويفضل القيم أيضاً يكتسب الجهد صفة الاستمرار ويصير الكفاح أمراً محبباً إلى الناس يتحملون تبعه².

ومن خلال القيم وتجسيدها في حياة البشر يمكن بناء حضارة تستخدم كل ما فيها من طاقات وإمكانات مادية وبشرية فما ازدهرت حضارة إلا وكان من أهم عوامل ازدهارها التمسك بالقيم والمبادئ وكذا انهيارها بتخليها عن قيمها³.

ومن أهمية القيم كذلك تحقيق التوازن النفسي للفرد وتكيفه مع الجماعة في مقابل فقدانها ينتج عنه التوتر والقلق⁴، وبالتالي تسعى القيم لتكوين إذ صح التعبير مواطن صالح إيجابي فاعل في الأمة.

وتظهر أهمية وقيمة القيم كذلك عندما تغدو حلاً من الحلول المقترحة بل في طبيعة الحلول التي تعدل السلوكيات⁵.

تلعب القيم دور خطير لأن "ما يهدد الكيانات الحضارية لا يكمن في الغزو العسكري ولا في الأمراض المادية الماحقة، فقد أبيت أمم بكاملها ولكنها انبعثت من جديد؛ لأن جذوة القيم كانت لا تزال حية فيها"¹.

¹ عبد الله محمد أحمد حريبي: القيم في القصص القرآني، ص71.

² المصدر نفسه، ص72.

³ نفسه، ص73.

⁴ نفسه، ص73.

⁵ زهوة أعزيبي: ملامح المنظومة القيمية لمجتمع المغرب الأوسط، ص7.

ظهور الإسلام على مسرح الأحداث كان له بالغ الأثر وهذا لما يحمل من قيم عليا ومستكملا لما يمكن إتمامه من القيم مزيلاً ما يمكن إزالته، حيث ارتقت الحضارة الإسلامية يوم أكدت قيمة الإنسان التي دعا القرآن الكريم إلى احترامها وانتهت هذه الحضارة بانتهاء هذه القيم وهذا ما عبر عنه مالك بن نبي "ولا شيء من التطرف في شيء القول بصفة عامة إن الحضارة تنتهي عندما تفقد في شعورها معنى الإنسان".²

ولعل عدم أفراد فقهاء وعلماء المسلمين أبواب خاصة بالقيم دليل على أن القيم هي الدين ذاته "فهي الجامع للعقيدة والشريعة والأخلاق، والعبادات والمعاملات، ولمنهاج الحياة والمبادئ العامة للشريعة، وهي العُمُد التي يقام عليها المجتمع الإسلامي؛ فهي ثابتة ثبات مصادرها، وهي معيار الصواب والخطأ، بها يميز المؤمن الخبيث من الطيب، ويرجع إليها عند صنع القرارات واتخاذها وهي التي تحدث الاتصال الذي لا انفصام له بين ما هو دنيوي وما هو أخروي في كل مناحي الحياة".³

تسمو الأخلاق ويرتفع شأن المجتمع وينعدم الضعف وتتراص الصفوف ويعم العدل وتتقوى الأمة ويسعد الجميع فتظل الحضارة في أرفع معانيها وهذا ما حصل في زمن الخلفاء الراشدين وزمن عمر ابن عبد العزيز ونور الدين وصلاح الدين وغيرهم من تمسك بقيم الدين،⁴ "حينما يتمسك المسلمون بالقيم الإسلامية كنظام لحياتهم ومجتمعهم ويجعلون منها الوسيلة الوحيدة لبناء الفرد والمجتمع برغبة وطواعية وبعون

¹ خالد الصمدي: مستقبل التربية على القيم، ص51.

² مالك بن نبي: تأملات، ط1، دمشق: دار الفكر، 1979م، ص94.

³ الهيثم زعنان: "العلمانية الانحلالية ومنظومة القيم الإسلامية"، مجلة البيان، ع: (194) شوال 1424هـ/ ديسمبر 2003، ص72.

⁴ محمد فيصل شيحاني: القيم والأعراف الأخلاقية في الحضارة العربية الإسلامية -دراسة تاريخية تربوية تحليلية-، حمص: مطبعة الإمامة، [د.ت.]، ص27.

من الله، ينعكس هذا في السلوك العام للمسلمين فلا يخطئون طريق الخير ابتغاء وجه الله والعمل لطاعته في شتى ميادين الحياة"¹.

وقد يبلغ المسلم من إسلامه بقدر ما يتجلى تطبيق القيم الإسلامية في حياته حتى يغدو الإسلام سلوكاً ومنهجاً له "فتكون وحدانية الله إيماناً يستقر في القلب ويصدق القلب والعمل ثم تنتظم القيم في ترتيب يحدد أولوياتها إذ ما تعارضت في موقف ما وتصبح عقيدة المسلم رقيباً يهديه إلى جادة الصواب"².

ولبيان أهمية القيم يحدثنا الدكتور أكرم ضياء العمري "إن إعادة البناء القيمي في عالم الإسلام لابد أن يتقدم على سائر محاولات الإصلاح السياسي والتربوي والاجتماعي والاقتصادي ومن دون ذلك لن نحوز على تقدم حقيقي"³.

هذه أهمية القيم بصفة عامة ونفعها للأمة الإسلامية إذ ما أرادت أن تستعيد دورها الحضاري كأمة كان لها السبق الحضاري، لكن السؤال الذي يتبادر للأذهان هو أين تكمن أهمية المنظومة القيمية في حقل التاريخ؟ وهل لها علاقة به؟

نترك للأستاذ لخضر بولطيف الإجابة عن هذه الإشكالية باعتباره صاحب مشروع المدرسة القيمية يقول: "لما كان التاريخ يمثل الاستجابة الصحيحة أو المغلوطة، لمنظومة القيم وعالم الأفكار، فإنه من الحري بنا إخضاع تاريخنا إلى دراسات معيارية؛ الهدف منها استبطان حياة المجتمعات التي عاشت ذلك التاريخ، وتفاعلت مع أحداثه ووقائعه وصنعت تحولاته ومنعطفاته"⁴.

¹ عبد الله محمد أحمد حريري: القيم في القصص القرآني، ص 93.

² جاسم محمد زكريا: "القيم الإنسانية في مرتكزات الشريعة الإسلامية"، مجلة التسامح، ع: (18) ربيع 1428هـ/2007م، ص 54.

³ أكرم ضياء العمري: قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي، ط1، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1414هـ، ج1، ص 138.

⁴ لخضر بولطيف: الفقيه والتاريخ في الغرب الإسلامي، ص 229.

يشير الدكتور أكرم ضياء العمري أن موضوع القيم من منظور تاريخي جديد جدير بالعديد من الدراسات فقد يحتاج إلى أكثر من عشرين أطروحة، لأن العالم الإسلامي يتسع اتساع هائل ويمتد في أعماق الزمان بلغ الأربعة عشر قرن ويسكنه سدس سكان الأرض وهو كذلك ممتد في أعماق التاريخ بسبب مصدره الإلهي فآدم كان موحداً¹.

ويؤكد في موطن آخر على هذا بقوله "إن الحديث عن قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي ينبغي أن تتقدمه دراسات كثيرة تغطي شرائح عديدة لفترة تاريخية شاسعة الامتداد في الزمان والمكان الذين أثر فيه الإسلام"².

إذاً يمكن القول أن دراسة المنظومات القيمية تمكنا من النفاذ لأحداث ووقائع لم تكن لتفصح عنها الدراسات السابقة أو قد تعطي عنها إشارة مقتضبة جدا لكن البحث في تاريخنا ونحن متسلحين بالمنظومة القيمية وعالم الأفكار والذهنيات سيفتح علينا باباً جديداً يمكننا من فهم أعمق لأحداث التاريخ ووقائعه بل حتى فهم حاضرنا واستشراف مستقبلنا.

ذلك لأن القيم والأعراف وسلوك الأفراد وطريقة تفكيرهم وأفكارهم السائدة في مجتمعهم والمتعارف عليها بينهم متشابكة بالحوادث التاريخية والمؤثرات الفكرية والدينية والنظم الاقتصادية³.

¹ أكرم ضياء العمري: قيم المجتمع الإسلامي، ص39.

² المصدر نفسه، ص53.

³ محمد فيصل شبحاني: القيم والأعراف الأخلاقية في الحضارة العربية الإسلامية، ص26.

3. مصادر القيم ومنابعها:

اختلف حول مصدر القيم عند الفلاسفة والمفكرين فكل أرجعها إلى مصدر فنجد مصدر القيم عند فلاسفة الطبيعة هو الإنسان والشيء الذي تتوجه له الإرادة الإنسانية يكون ذو قيمة، والقيم عندهم تقوم على وجدان اللذة والألم أو المنفعة والضرر وهكذا صار الخير في نظرهم ما يحقق نفعاً أو يرفع ضرراً والشر ما يجلب نفعاً أو يعوق منفعة وهذا يفضي إلى تجريد الإنسان من القوى الروحية والعقلية وبات هدف السلوك عندهم إثبات الأناية¹، "ومن الخطأ إرجاع القيم إلى الخبرة الحسية كما يعتقد الطبيعيون لأن الحواس التي يتحدث عليها هؤلاء لا تتناول إلا الجزئي كما أنها تتصف بالتغير وعلى هذا لا يمكن جعلها مرجعاً للقيم الخلقية تهدي السلوك الإنساني"²، وهذه المسألة خطيرة جداً رفضتها عدة تيارات فكرية وتكمن خطورتها في أن هذا الإنسان باستطاعته إيجاد دين طبيعي كما زعم أوغست كونت³.

أما المدرسة المثالية فتري أن مصدر القيم هو العقل وهو الذي يحدد إذا ما كانت هذه القيم قيم خير أو شر،⁴ وهذا ما وقع فيه الميثاليون لأن العقل الإنساني لا يكون في كل حالاته بمعزل عن الهوى أو العاطفة وبالتالي ليس ثمة ما يضمن صدق أحكامه حين يفضل سلوكاً على آخر⁵.

والقيم عند علماء الاجتماع مردها إلى المجتمع وهي تعبر عن الواقع وبالتالي "فهي حقائق واقعية لها تأثير في السلوك وهي بمثابة الجوانب التي يمكن ملاحظتها

¹ عبد الله محمد أحمد حريري: القيم في القصص القرآني، ص 69.

² صلاح الدين رسلان: القيم في الإسلام بين الذاتية والموضوعية، القاهرة: دار الثقافة لنشر والتوزيع، 1410هـ/ 1990م، ص 135.

³ أكرم ضياء العمري: قيم المجتمع الإسلامي، ص 41.

⁴ عبد الله محمد أحمد حريري: القيم في القصص القرآني، ص 61.

⁵ صلاح الدين رسلان: القيم في الإسلام، ص 135.

للدوافع الخاصة لتحقيق الأهداف التي عن طريقها يمكن أن نفهم المعلومات والتفاعلات داخل الجماعة، وهي تقود سلوك الفرد للتعبير بطريقة شرعية عن الفعل الاجتماعي¹.

أما عن موقف الاقتصاديين فقد ارجعوا مصدر القيم إلى العلاقات الإنتاجية وتتغير القيم بتغير هاته العلاقات "ويؤدي هذا إلى فقدان القيم دورها في تحديد السلوك الإنساني الذي هو بدوره انعكاس أيضا لعلاقات الإنتاج وبهذا تختفي من حياة المجتمع القيم الخالدة"².

هذا بالنسبة للفلاسفة والمفكرين الغربيين فما هو مصدر القيم الإسلامية؟

مصدر القيم في الإسلام يختلف كل الاختلاف عما سبق، فالقيم في المجتمع الإسلامي تنبثق من مصدرين أساسيين هما كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وبالتالي فالقيم في الإسلام مستمدة من إرادة الله سبحانه وتعالى وتتبع من تصور القرآن للكون والحياة الإنسانية وهي جزء من العقيدة وعنصر من عناصر الإيمان، وكون مصدرها من الله لا يعني أن الله يفرضها فرضاً على الإنسان بل تقبل الإنسان لهاته القيم باختياره وعن قناعاته الشخصية، والدليل على هذا في كتاب الله ففي غالب الأحيان يربط المولى عز وجل تعاليمه بحرية الاختيار، نعطي مثلاً على هذا عندما يأمر الله جل في علاه أن نوفي الكيل ونزن بالقسطاس المستقيم يعقب هذا بقوله "ذلك خير"، إضافة إلى هذا فإن كون القيم من مصدر إلهي يدعم حرية الإنسان ويحفظ طاقاته من الزوال والضياع فالقيم في شقها العلوي هي بمثابة القواعد الهادية

¹ عبد الله محمد أحمد حريري: القيم في القصص القرآني، ص 65-66.

² المصدر نفسه، ص 64.

وتتميز هذه القواعد بتقليل فرص الخطأ بدلا أن يترك الإنسان يتفكر في كل الاتجاهات الممكنة يبحث عن الحكم والقيمة الصائبة¹.

ويمكن حصر مصادر ومشارب القيم الإسلامية في مرتكزين أساسيين وهما:

أ- القرآن الكريم:

القرآن هو كتاب المسلمين المقدس والمعبر عن الإرادة الإلهية وأصل الحضارة الإسلامية فهو إذا المصدر الرئيسي للتعاليم والأحكام الدينية والأخلاقية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية².

يستنبط الباحث خالد الصمدي من الآية الكريمة ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾³ مرتكزات القيم الإسلامية حيث حصرها في ثلاث قيم كبرى تتحدر منها باقي القيم وهي:

قيمة التوحيد: وتعتبر قيمة مهمة تتفرع عنها قيم العبودية كلها بجزئياتها وتفاصيلها، كقيمة التقوى، وطاعة الأوامر واجتتاب النواهي، والقربى بالنوافل، والتحرر من عبودية المخلوقات، وغيرها.

قيمة الحكمة: تحكم تعامل الإنسان مع أخيه، تتفرع عنها قيم التعاون، والتآزر، والتآخي، والإيثار، والتكافل، ولين الكلام والتواضع، وما في حكم ذلك من قيم تنظيم العلاقات العامة بين الناس.

¹ المصدر نفسه، ص71.

² صلاح الدين رسلان: القيم في الإسلام، ص133.

³ سورة البقرة، الآية: 129.

قيمة التسخير: نتفرع عنها قيم تعامل الإنسان مع بيئته ومحيطه من الأمم الأخرى غير الإنسان¹ قال تعالى ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ² مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ³ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ تَحْشُرُونَ⁴﴾ وهذه مجمل القيم التي تخلق التوازن في تعامل الإنسان مع خالقه والناس والمحيط⁵.

القرآن الكريم يبحث على القيم، وما الأحكام والتشريعات إلا وسائل، لا قيمة لمزاولتها إن لم تفضي إلى التربية الإيمانية.⁴ قال جل وعلا: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا^ط قُلْ لَمْ تُوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ^ط وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ^ج وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا^ج إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ^{١٤}﴾ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^ج أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ^٥﴾

¹ خالد الصمدي: مستقبل التربية على القيم، ص52.

² سورة الأنعام، الآية: 38.

³ خالد الصمدي: مستقبل التربية على القيم، ص52.

⁴ المصدر نفسه، ص53.

⁵ سورة الحجرات، الآية: 14-15.

ب- السنة والسيرة النبوية:

إذا كان القرآن الكريم يمثل الجانب النظري في صياغة القيم؛ فالسنة والسيرة تمثل الإجراءات التطبيقية لذلك في واقع المسلمين، وذلك من خلال السلوك والقُدوة: قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ
الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾¹

وقد ربط صلى الله عليه وسلم بين التنظير والتطبيق في تعليم القيم الإسلامية؛ بحيث يصلي بالناس ثم يقول لهم صلوا كما رأيتموني أصلي ويحج بهم ثم يقول لتأخذوا مناسككم وينحر ويحلق في صلح الحديبية فيفعل الناس بعد امتناع².

"ولمّا كان الله هو مصدر القيم في الإسلام فقد تميزت بالقداسة وكان لها هبة في نفوس المؤمنين واحترام المسلمين لها ينبع من نفوسهم عن طاعة اختيارية مصدرها الإيمان اليقيني بالله"³، وبالتالي فهي هبة الله للأمة الإسلامية وهي مقدسة ولا يجوز التفريط بها والتخلي عنها، وهذا ما يولّد ضبط اجتماعي عالي فلا يستطيع الأفراد ولا الجماعات تجاوزها⁴.

¹ سورة الأحزاب، الآية: 21.

² خالد الصمدي: مستقبل التربية على القيم، ص53.

³ صلاح الدين رسلان: القيم في الإسلام، ص143.

⁴ أكرم ضياء العمري: قيم المجتمع الإسلامي، ص64-65.

4. خصائص القيم الإسلامية

للقيم الإسلامية سمات وخصائص تتميز بها عن غيرها من القيم الوضعية نذكر أهمها وباختصار شديد وهي:

أ- الربانية في المصدر:

لما خلق الله آدم ونفخ فيه من روحه، زرعت القيم في جوهر الإنسان من روح الله فحبه للخير وكرهه للشر من روح الله، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَهَمَّهَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿١﴾﴾¹، وقال: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ۗ ﴿٢﴾﴾²

وواضح ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»³، وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤﴾﴾⁴ فالإنسان ليس صفحة بيضاء، كما أنه ليس صفحة سوداء مليئة بالآثام كما هو معروف في النظرية المسيحية، ولكنه مفطور على دين الإسلام وقيمه، وحين نزل إلى الأرض واختلط بالبيئة اقترب أو ابتعد من هذه القيم بحسب المؤثرات⁵.

ب- الواقعية:

الإسلام يتسم بنظرية الواقعية للإنسان فهو ليس ملاكاً ولا شيطاناً، بل هو كائن عاقل رفيع كريم، فيه من أشواق الروح وتطلعاتها ما يرتفع به إلى عليين، وفيه من

¹ سورة الشمس، الآية: 7-8.

² سورة السجدة، الآية: 9.

³ أخرجه البخاري في باب: ما قيل في أولاد المشركين، من صحيحه الجامع، ص100.

⁴ سورة الروم، الآية: 30.

⁵ خالد الصمدي: مستقبل التربية على القيم، ص54.

رغبات الجسم وأهواء النفس ما يلصقه بالطين، فمن طبيعته التسامي والارتقاء والسقوط والالتواء¹.

كما أن الإسلام دين يسر وسماحة وهو يرضى طبيعة الإنسان وحدود طاقاته ويحرم التعمق والمغالاة والتشدد والتكلف "فلا يكبت طاقات الإنسان وتطلعاته وحاجياته ولا يحرمه من الراحة والطعام والزواج والنوم بل ينهيه عن الرهبانية وتعذيب النفس"².

وعلى هذا الأساس فالقيم الإسلامية ليست مثالية، وإنما هي خلاصة شريعة نزلت حسب الوقائع والأحداث، وتجاوبت لمشكلات الناس ومسائلهم، وبالتالي فهي واقعية في أهدافها، فالعدل على سبيل المثال قيمة إسلامية راسخة، ولكن تحقيقه في الواقع مدافعة للظلم بقدر الاستطاعة، فرغم كونها مطلقة في أصولها، ريانية في مصدرها؛ فإن إنزالها على الواقع يحكمه التدرج والحسن لنفي القيم السيئة بالحسنة³.

ج- العالمية:

قيم الإسلام تضمنتها رسالة الأنبياء والرسل كافة وختمتها الرسالة المحمدية؛ وهي ليست خاصة بالمسلمين وحدهم عالمية بعالمية الرسالة المحمدية فهي مفتوحة على جل العباد والشعوب يستقون منها فتعدل سلوكياتهم، وتعديل من مساراتهم، وبهذه تصير هذه العالمية باباً يدخل منه الكثير من الأمم والشعوب والأفراد إلى الإسلام، وقد أخذ صلى الله عليه وسلم بهذه القيم العالمية وجاء ليتمها،⁴ فقال صلى الله عليه وسلم «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ»⁵

¹ أكرم ضياء العمري: قيم المجتمع الإسلامي، ص 61.

² المصدر نفسه، ص 62-63.

³ خالد الصمدي: مستقبل التربية على القيم، ص 54.

⁴ المصدر نفسه، ص 54.

⁵ أخرجه البخاري في باب: حسن الخلق، من الأدب المفرد، ص 104.

"والإلتزام يعني أن الإسلام أقر قيماً إنسانية موجودة بالجبلية والفطرة لدى الناس مهما اختلفت مللهم ونحلهم، وذلك مدخل لهم كي ينتبهوا إلى قيم الإسلام الخالدة فيسارعوا إلى اعتناقه كاملاً غير منقوص إتماماً لنعمة الله عليهم"¹.

هـ- الاستمرار:

القيم الإسلامية قيم مستمرة في الواقع وليست ضرباً من التاريخ لكنها مرتبطة بالجهد المبذول في سبيل نشرها والسهر على تحقيقها فهي تضيق وتتسع بهذا الجهد. "والذي يمكن أن يُدرس للتاريخ والعبرة هو تجليات هذه القيم في المجتمع عبر الدهور والأحقاب السالفة؛ لمعرفة كيفية تفاعلها مع مختلف السلوكيات، ومدى قدرتها على صناعة التحولات الكبرى في تاريخ البشرية والاستفادة من ذلك في بناء الحال والمستقبل"².

ومرد استمراريته لصلاحية مصادرها لكل زمان ومكان ولهذا كانت المجاهدة والمثابرة لعتال بالنفس من النوازع البشرية بحملها على التمسك بالقيم الإسلامية؛ حتى ترقى من الإسلام إلى الإيمان إلى الإحسان، فيعيد الإنسان الله كأنه يراه، وهذه أحلى ثمرات القيم الإسلامية³، وينفرد الإسلام كذلك بقيمة النهي عن هدر الطاقة في التفكير في أمور لن يدركها العقل البشري بل حثه على التفكير فيما ينفعه ومن ذلك البحث في سنن الكون وقوانينه التي تعود بنفع عليه⁴.

¹ خالد الصمدي: مستقبل التربية على القيم، ص55.

² المصدر نفسه، ص55.

³ نفسه، ص55.

⁴ عبد الله محمد أحمد حريبي: القيم في القصص القرآني، ص79.

ثانيا: التجليات

لقد كتب الأستاذ لخضر بولطيف مقالا بعنوان "تحو مدرسة تاريخية جزائرية"، ناقش فيه بعض القضايا العالقة بما يتعلق في قيام مدرسة تاريخية جزائرية، حيث أن الحسم في خيارات المنهج والرؤية من شأنه أن يعطي معالم مدرسة بعينها لكنه لا يقف عند هذا الحد بل يهدم الأعذار التي يُخيل لبعضهم أنها تقف في سبيل تحقيق هذا الهدف -إنشاء مدرسة تاريخية- المنشود وذلك بالداعي التضارب في الرؤى وتباين المناهج وافتراق الانشغالات والاهتمامات العلمية، مقدما الحل في إمكانية قيام مدرسة تاريخية جزائرية وذلك باغتنام فرص مبدأ التقارب في المنطلقات الفكرية، والتمرس بفقهِ الأدوات المنهجية، لأن ما يجمعنا هو المقصد الأسمى المتمثل في الارتقاء بمستوى الطرح والتناول¹.

وهذا الذي تجسد في مشروع المدرسة القيمية فليس يهم التقارب في المنطلقات بقدر ما يهم الارتقاء بمستوى الطرح والتناول، حيث يهدف هذا المشروع لتكوين طليعة من الباحثين تخدم إشكالية المشروع المسطر، بحيث يعتبر موضوع الباحث بداية تأسيسية يروم من ورائها لتوليد مجموعة أخرى من الأبحاث والدراسات في المستقبل تصب في مسيرة المشروع سيرورته لتكون للأجيال اللاحقة مكسب يتناولونها بالدراسات النقدية والتفصيلية².

¹ لخضر بولطيف: الفقه والتاريخ، ص 327.

² زهوة أعزيبي: ملامح المنظومة القيمية لمجتمع الغرب الأوسط، ص 1.

وعلى هذا الأساس فإن مشروع المدرسة القيمية من خلال إعداد ثلة من الباحثين يروم لإحداث نقلة نوعية رغم المطبات والعقبات، ولارتقاء بمستوى الطرح وجدة المواضيع، للخروج من قبعة التقليد إلى تاج التجديد¹.

وقد طرح هذا المشروع أمام حقل التاريخ آفاق وتطلعات، وفتح المدارك نحو التدارك الحاصل في إبعاد التاريخ مقارنة مع العلوم لأخرى وإرجاع قيمته والدور المنوط به الذي يجعله في مصاف العلوم، مع قدر من الانفتاحية على الآخر تضمن له عدم المصادرة على كل ما يصدر من الآخر وتكون الرؤية واضحة لا حزازات أو تشنجات تعمي صاحبها عن الوقف في صف الحق ولو كان على نفسه، وقد جعل مشروع المدرسة القيمية تركيزه في الأعمال المنجزة على الكيف لا الكم وعلى الابتكار والإبداع لا على التكرار والاجترار وعلى التجديد لا التقليد وعلى التعمق لا السطحية.

ويمكن أن نستخلص بعض الميزات لهذا المشروع نذكرها في النقاط التالية:

- تكوين باحثين جادين عاملين في إنجاز مشروع القيميات ساهرين على سيرورة مخطط القيميات من إنجاز للأعمال والطروحات.
- إعطاء الكلمة للتاريخ وفرض وجوده من خلال دراسات القيميات التي تلقفتها العلوم الأخرى ما عدا هو.
- الاشتغال على العديد من الساحات وعدم تقوقعه في محطة من المحطات ولعل مرد هذا لتغلغل القيميات في شتى الميادين والمجالات و التداخل الحاصل بين المنظومات.
- التأي بالتاريخ عن ساحة التعصب والحزازات نحو الانفتاحية على الآخر وعدم المصادرة عليه لمجرد انه يخالفنا في الرأي.

¹ نذير بزازق: "معالم المنظومة الفكرية لمجتمع المغرب الأوسط خلال القرنين 8 و9هـ / 14 و15م-جدل العقل والنقل"-، مشروع رسالة دكتوراه ل.م.د، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 1435هـ/2014م، ص11.

– تناول دراسات طريفة الحثيات رفيعة المبنيات بتعمق وابتعاد عن السطحية والاجترار.

– محاولة لفهم أعمق للماضي والحاضر واستشرافاً أفضل للمستقبل.

وعلى هذا الأساس فالأمل المعقود حول الباحثين في هذا المشروع على الطرافة والجدية في دراساتهم، أين يتجلى فيها الابتكار والإبداع، وتبرز من خلالها شخصائهم وجهودهم في خدمتهم لأوطانهم وأفكارهم وأمتهم¹.

وقبل رصد الأعمال لابد من تنبيه لنقطتين في مشروع المدرسة القيمية أولاً أن هذا المشروع يعتبر امتداد وتطوير لمنهج التفسير الإسلامي للتاريخ وقد رأينا في الفصل الأول قضية رفض بعض المنظرين لتفسير المنهج الغربي وبالتالي ظهر التفسير الإسلامي للتاريخ في موضع الدفاع المتشنج الذي قد يؤدي بصاحبه إلى المصادرة على الآخر بينما تظهر المدرسة القيمية متفادية مرحلة الدفاع المتشنج والمصادرة على كل ما أنجز الآخر بنوع من الانفتاحية وقبول ما يمكن قبوله مالم يتعارض مع مبادئنا وقيمتنا، والنقطة الثانية هي أن هذا المشروع لا يزال في مرحلة مبكرة من عمره هذا ما يفسر لنا عدم التوازن في المجالات المشتغل عليها من طرف الباحثين هذا من جهة ومن جهة أخرى راجع إلى تركيز المشتغلين فيه على مجال دون الآخر وهذا بطبيعة الحال مرده في الأساس إلى اهتمامات الباحثين المشتغلين في هذا المشروع.

وسنعرض بإيجاز بعض ما أنجز وما هو قيد الإنجاز في هذا المشروع لتتضح معالم مشروع المدرسة القيمية حيث يقوم مبدئياً على أرضية تتوزع على مجالين.

¹ نذير برزاق: معالم المنظومة الفكرية لمجتمع المغرب الأوسط، ص3.

1. مجال التحقيق:

قد يتبادر للأذهان سؤال ما علاقة التحقيق بالمنظومة القيمية حيث أن التحقيق لا تتدخل فيه أفكار الباحث لأن مهمته تحقيق المخطوط وليس إبداء آراءه وأفكاره، لكن هنا المقصود بالتحقيق هو تحقيق النصوص التي تحتوى على قدر كبير من المعلومات التي تصب في هذا المضمار والتي ستكون مصدر للباحثين فيه، فقد ذكرت الباحثة زهوة أعزيبى أن من الصعوبات التي واجهتها في موضوعها حول القيم وجود مصادر لكنها في حكم المخطوط وتحتاج للتحقيق¹، ومن الأعمال التي يمكن أن نذكرها في مجال التحقيق أعمال كل من:

- عيدة منصوري: سؤال وجواب عن أحوال المريدين لابن سيدبونة الخزاعي (ت 624هـ/1226م): دراسة وتحقيق. رسالة ماجستير².
- مصطفى بن العيطر: تراجم المغاربة من كتاب عقود الجمان على وفيات الأعيان للبدر الزركشي (ت 794هـ/1392م): دراسة وتحقيق. رسالة ماجستير³.
- عبد الله عبد السلام: تراجم الأندلسيين من كتاب عقود الجمان على وفيات الأعيان للبدر الزركشي (ت 794هـ/1392م): دراسة وتحقيق. رسالة ماجستير⁴.
- خالد مقران: كمامة الزهر وطرفة الدهر لابن بدرون (حي سنة 608هـ/1212م). رسالة دكتوراه⁵.

¹ زهوة أعزيبى: ملامح المنظومة القيمية في المجتمع الزباني، ص 8.

² عيدة منصوري: "سؤال وجواب عن أحوال المريدين لابن سيدبونة (ت 624هـ/1226م) -دراسة وتحقيق-"، مذكرة ماجستير، جامعة المسيلة، 2012-2013م.

³ مصطفى بن العيطر: "تراجم المغاربة من كتاب عقود الجمان للزركشي (ت 794هـ/1392م) -دراسة وتحقيق-"، مذكرة ماجستير، جامعة المسيلة، 2012-2013م.

⁴ عبد الله عبد السلام: "تراجم الأندلسيين من كتاب عقود الجمان للزركشي (ت 794هـ/1392م) -دراسة وتحقيق-"، مذكرة ماجستير، جامعة المسيلة، 2013/2014م.

⁵ خالد مقران: "كمامة الزهر وطرفة الدهر لابن بدرون (حي سنة 608هـ/1212م)"، مشروع رسالة دكتوراه ل.م.د، قسم التاريخ، جامعة شلف، 2014-2015م.

2. مجال التأليف: وتوزيعه دائرتان

الأولى منهجية والثانية معرفية

مجال التأليف نال نصيبه في هذا المشروع على الأقل أكثر من مجال التحقيق وخاصة في الدائرة الثانية -المعرفية-.

أ- الدائرة المنهجية:

يشتغل الباحثون في هذه الدائرة على تقويم منجز والمأمول إنجازهم في نطاق المناهج وقد قمنا برصد الأعمال التي تصب في هاته الدائرة وهي عمل كل من:

- نسيمه مجناح: أثر كتب النوازل الفقهية في الكتابة التاريخية -رصد وتقويم-.

ولعل الذي يكسب هذه الدراسة أهمية هو تصديها للإجابة عن إشكالية: ما مدى حضور الخطاب النازلي في الدراسات التاريخية؟ وإلى أي مدى تثير النصوص النازلية قضايا في عمق البحث التاريخي؟¹.

صرحت الباحثة أن دراستها جديدة وجادة لم تعالج على النحو الذي هي سارت عليه، حيث قالت "تجزم بأن هذا البحث لم يطرق من قبل بالكيفية التي عالجه"².

قسمت الباحثة عملها لثلاث فصول، الفصل الأول عنوانه بكتب النوازل "الاكتشاف والجدوى" وفيه بينت بعض المفاهيم التي تخص النوازل وتتبع النوازل في النشأة والتطور وكذا بيان أهمية النوازل كمصدر تاريخي.

¹ نسيمه مجناح: "أثر كتب النوازل الفقهية في الكتابة التاريخية - رصد وتقويم-"، رسالة ماستر، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 1435هـ/2014م، ص8.

² المصدر نفسه، ص8.

وفي الفصل الثاني الذي حمل عنوان كتب النوازل "التوظيف والمجال" فقد اشتمل على حقلين رئيسيين وهما الحقل الاجتماعي والحقل الاقتصادي.

بينما الفصل الثالث خصص لتقويم حصيلة توظيف كتب النوازل في البحث التاريخي وقد حمل عنوان كتب النوازل "الحصيلة الإضافية"، والتقويم كان من خلال المنهج وآليات تناول، ومن خلال التخريجات وحدود الإضافة.

– نسمة قلي: التأليف في الصلات والتكملات بالغرب الإسلامي -مقاربة منهجية-.

تقول الباحثة أن من بين أسباب اختيارها لهذا الموضوع هو عدم تطرق الدراسات الحديثة لهذا الموضوع من الزاوية التي عالجت هي بها موضوعها¹، وبالتالي هي تبحث في موضوع جديد وهذا من ميزات الباحثين في هذا المشروع، فكل المواضيع إما أن تكون جديدة أو معمقة وفيها إضافات على غرار الدراسات السطحية. وقد تفرعت دراستها إلى مدخل وثلاث فصول، في المدخل تناولت نشأة وتطور التأليف في كتب التراجم تحت عنوان "الصلات والتكملات بين المشرق والمغرب"، ووضحت في الفصل الأول دوافع التأليف في الصلات والتكملات، وأظهرت في الفصل الثاني الأنماط المعتمدة لدى مؤلفو الصلات والتكملات، وخصصت الفصل الثالث للبحث عن مواد هاته المؤلفات وإفادتها التي انفردت بها².

ومن الأعمال التي هي قيد الإنجاز هذا العام عمل هاجر بونباب الموسوم بـ "الرواية ومنتهاى السند: السبق الحضاري الإسلامي في إرساء قواعد المنهج التاريخي - من الطبري إلى ابن خلدون -"، رسالة ماستر.

¹ نسمة قلي: "التأليف في الصلات والتكملات بالغرب الإسلامي -مقاربة منهجية-"، رسالة ماستر، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 1434هـ/2013م، ص5.

² المصدر نفسه، ص49-76.

أما موضوعنا الذي يصنف ضمن هاته الدائرة فقد جاء للمقاربة بين التفسير الإسلامي للتاريخ والمنظومات القيمية، ولرصد تجليات الأعمال المنجزة ضمن مشروع مدرسة القيميات.

فمنهج التفسير الإسلامي للتاريخ الذي حقق ما حقق من إنجازات، وبتصديه للعديد من المسائل التاريخية بروؤية إسلامية استطاعت أن تنافس بل وتكون بديلة لرؤية المادية والمثالية والحضارية، وتظهر منظومة القيم بنفس جديد تستأنف مشوار التفسير الإسلامي للتاريخ بأكثر انفتاحه على الآخر؛ وتعمق في ثنايا التاريخ وفتح آفاق جديدة في الدراسات التاريخية.

ب- الدائرة المعرفية: وهي تتفرع إلى ثلاثة محاور

والآن جاء دور الدائرة الأكثر بروزا في هذا المشروع والتي نالت حقها على الأقل مقارنة مع الدائرة المنهجية وكذا مجال التحقيق وهذه الدائرة تنقسم إلى ثلاث محاور رئيسية وسنحاول رصدها بإيجاز.

ومن خلال مقال الأستاذ لخضر بولطيف الموسوم بـ: "ملامح المنظومة القيمية في المجتمع القلعي"، ندرك أهمية القيم في معرفة المرجعيات الدينية والخلفيات الفكرية السائدة في تلك الفترات ومعرفة المفاهيم والتصورات وأنماط السلوك¹، وهذا ما سنلاحظه في هاته الدائرة.

¹ لخضر بولطيف: الفقه والتاريخ، ص 208-209.

❖ دراسة المنظومات الثاوية المستقرة في أعماق اللاوعي الجمعي

الإنساني، والمؤطرة للفكر والسلوك:

يمكن أن ندرج في هذ المحور أعمال كل من:

- نذير برزاق في مشروعه الموسوم ب: معالم المنظومة الفكرية لمجتمع

المغرب الأوسط خلال القرنين 8 و9هـ/14 و15م -جدل العقل والنقل-.

قام الباحث في دراسته بسبر أغوار المنظومة الفكرية في مجتمع المغرب الأوسط في دراسة معمقة ومتجنباً السطحية التي وقع فيها من كان قبله، وقد حدثنا عن ذهنية المجتمع المغرب الأوسط وتدايعات هذه المنظومة على سلوكياته، وبهذا نلاحظ الحضور القوي للمنظومة القيمية لدى الباحث، ويؤكد لنا التداخل بين المنظومتين بقوله "لا شك أن المنظومة الفكرية ما هي إلا انعكاس للمنظومة القيمية من هذا المنطلق يمكن أن نلج للبحث المنظومة الفكرية ونتبين حقيقة هذا الادعاء"¹.

وقد قامت دراسته على فصل تمهيدي عالج فيه الحراك الفكري بالمغرب الأوسط

وشمل الأوضاع الثقافية، والعلوم النقلية وأقطابها، والعلوم العقلية وأقطابها.

وبابين يحمل الأول منهما عنوان تجليات العقل والنقل في المدونة الفكرية

بالمغرب الأوسط؛ ويتضمن فصلين تناول في الفصل الأول التجليات النقلية في

المدونة الفكرية بالمغرب الأوسط؛ وفيه وضح تجليات المعرفة النقلية في علم التفسير،

وعلم الحديث وكذلك في علم الفقه، أما الفصل الثاني من الباب الأول فقد وضح فيه

التجليات العقلية في المدونة الفكرية بالمغرب الأوسط وتطرق فيه لثلاث نقاط وهي

تجليات المعرفة العقلية في علم الأصول، وفي علم الكلام، وعلم الفلسفة.

¹ نذير برزاق: معالم المنظومة الفكرية لمجتمع المغرب الأوسط، ص2.

بينما تناول في الباب الثاني تجاذبات العقل والنقل في المدونة الفكرية بالمغرب الأوسط؛ وينقسم بدوره إلى فصلين جاء الفصل الأول من هذا الباب تحت عنوان النزعة العقلية في المدونة الفكرية النقلية بالمغرب الأوسط؛ وعالج فيه النزعة العقلية في علم التفسير وفي علم الحديث وعلم الفقه، وتطرق في الفصل الثاني إلى النزعة النقلية في المدونة الفكرية العقلية بالمغرب الأوسط وذلك من خلال النزعة النقلية في علم الأصول وعلم الكلام وعلم الفلسفة.

– زهوة أعزبي في دراستها التي تحمل عنوان: ملامح المنظومة القيمية لمجتمع المغرب الأوسط خلال العصر الزياني –جدل المثال والواقع-.

تعطينا الباحثة زهوة إشارة غاية في الأهمية والتي نلاحظ من خلالها تغلغل القيم في شتى المجالات ذكرت أن الإنتاج الأدبي والفلسفي والفقهي والصوفي والفكري ما هو إلا انعكاس للقيم¹، وبالتالي كم هي عظيمة النتائج التي سيجنيها التاريخ من دراسته للقيم وكم من الآفاق يطرحها هذا المشروع.

وفي الحقيقة أن دراسة المنظومة القيمية من منظور تاريخي، من الدراسات المستجدة والتي تتطلب الكثير من الجهد والكثير من الأبحاث، وقد جاءت دراسة الباحثة زهوة أعزبي لتقدم إضافة في هذا المجال وتكون أرضية لمن يريد البحث في هذا الأفق الفسيح.

وتناولت الباحثة ملامح المنظومة القيمية والمجتمع الزياني، واستعمالها للفظ "الملاح" السابق للمنظومة القيمية فيه دلالة على كبر وشساعة المنظومة القيمية لذا عمدت لسبقه بملاح لتختار من القيم ما تراه مناسباً لدراساتها².

¹ زهوة أعزبي: ملامح المنظومة القيمية لمجتمع المغرب الأوسط، ص7.

² المصدر نفسه، ص9.

فوزعت دراستها على فصل تمهيدي وثلاث فصول احتوى الفصل التمهيدي على المنظومة القيمية دراسة نظرية والمجتمع الزباني دراسة تاريخية وكذا المباحث الدينية في تكوين الإنسان الزباني.

وعالجت في الفصل الأول القيم العقديّة الروحية للمجتمع الزباني من التوحيد والإيمان والرحمة والجهاد، وتطرقت في الفصل الثاني للقيم الأخلاقية الاجتماعية للمجتمع الزباني كالتكافل الاجتماعي، والاحتفالات الدينية، والتسامح الديني، وأهل الذمة، وكذا المساواة وظاهرة الشرف، بالإضافة إلى العدل وعلاقة الحاكم بالمحكومين.

ووضحت في الفصل الثالث القيم العقلية والذهنية للمجتمع الزباني وتضمن هذا الفصل الكرامة وقصص الأولياء، الخرافة والقصص الشعبية، الغيب، السحر، بينما خصصت الفصل الرابع للقيم الجسمانية الجمالية للمجتمع الزباني والمتمثلة في الصحة، النظافة، اللباس، والطعام.

- دراسة إلهام قاتل حيث عالجت النخبة العالمية في المغرب الأوسط (7-13هـ/13-15م) -منطلقات الفكر وأنماط السلوك-.

نلمس ملامح المنظومة القيمية عند الباحثة من خلال تصديها للإجابة عن الإشكالية: "ما هي المرجعيات الدينية والخلفيات الفكرية التي أطرت رؤى النخبة العالمية، وأسهمت في توجيه حياتها، وفي تكوين مفاهيمها وتصوراتها، وانتهت بالتالي إلى فرض تلك المنظومة الفكرية التي ستطبع الذوق العام لهم؟"¹

¹ إلهام قاتل: "النخبة العالمية في المغرب الأوسط (7-13هـ/13-15م) -منطلقات الفكر وأنماط السلوك-"، رسالة دكتوراه ل.م.د، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 1435هـ/2014م، ص4.

ومن خلال الهدف الذي تسعى له الباحثة في بحثها يمكن فهم تغلغل المنظومة القيمية في دراستها حيث تسعى الباحثة للولوج إلى قلب المنظومة الفكرية ومنطلقات الفكر للنخبة العالمية في المغرب الأوسط وتتبع المسارات السلوكية للعلماء¹.

وقد تناولت هذه الدراسة في فصل تمهيدي وبابين حمل الفصل التمهيدي عنوان النخبة العالمية بين دلالة المصطلح وإشكالية التتميط، ويندرج ضمنه النخبة العالمية ومرادفاتها في المعجم اللغوي، وضبط مفهوم النخبة العالمية في عصر دويلات العصبية البربرية الكبرى.

وعالجت في الباب الأول منطلقات الفكر للنخبة العالمية في المغرب الأوسط من القرن (7 إلى 9 هـ) وذلك من خلال المرجعية الفقهية المالكية والمرجعية الكلامية الأشعرية والمرجعية الصوفية الجنيدية.

أما الباب الثاني الذي حمل عنوان أنماط السلوك للنخبة العالمية في المغرب الأوسط من القرن (7 إلى 9 هـ) وفيه تم دراسة العلاقات البينية والعلاقات الغيرية مع السلطة والمجتمع.

❖ دراسة المدونات أو النصوص المواربة التي تفصح عن قدر

ضئيل من مكنوناتها:

- حليلة بوصبع، وحليمة يحيايوي في عملهما الموسوم ب: جدل المتعالي

والتاريخي في مدونة التفسير الإسلامي من الطبري إلى القرطبي.

واننا نلمح حضور القيم في دراستهما عند قولهما "يمكن النظر للتصوف من

منطلقين في الجانب الأخلاقي والسلوكي والثاني في الجانب المعرفي والكشفي والجانب

الأول أكثر وضوحا لدى المتصوفة -الجانب السلوكي- عبر العصور فهو يوضح

المبادئ المتكاملة التي تحكم تصرفات أصحابها في مختلف أوجه حياتهم الروحية

¹ المصدر نفسه، ص5.

الدينية الاقتصادية والسياسية وتطبعهم بطابع خاص فيه ارتباط وثيق بين التربية الروحية والأخلاق¹.

وقد قامت دراستها على فصل تأسيسي أشارتا فيه إلى التفسير من الفهم النبوي إلى الفهم البشري وتناولتا قضية التراث والتجديد بين الماضي ورهانات الحاضر، والتفسير القرآني بين مقتضى التجديد.

وعالجنا في الفصل الأول جدل المتعالي والتاريخي باعتبار الإنسان من خلال العروج على ثلاث قضايا وهي العمل والحرفة، والمرأة، والاعتزال، وذلك لتوضيح التفاوتات الحاصلة في الفهم في قضية التفسير بالنسبة للإنسان.

والفصل الثاني الذي حمل عنوان جدل المتعالي والتاريخي باعتبار المكان ضم ثلاث قضايا هو الآخر وهي أهل الكتاب، والجهاد، والهجرة، ومن خلال هذه القضايا أظهرنا التباينات في التفسيرات الناتجة عن تغاير المكان.

أما الفصل الثالث والأخير فقد جاء تحت عنوان جدل المتعالي والتاريخي باعتبار الزمان وفيه تم التطرق لطاعة ولي الأمر، والتصوف، والتبرج، وبينو من خلال العروج على هاته القضايا تأثير عنصر الزمان في فهم نصوص القرآن.

ومن مدونة التفسير الإسلامي للقرآن الكريم إلى مدونة الإباضية مع عمل

- سليمة فرج في دراستها الموسومة: بالإباضية والآخر في تاريخ المغرب

الإسلامي - رؤية من الداخل-.

اختارت الباحثة زاوية من محور جدل الأنا والآخر في سياق المذهبي وتمثلت هذه الزاوية في الأنا الإباضي وعلاقته بالآخر-الفرق والمذاهب الإسلامية- وتغلغل

¹ حليلة بوصبع، وحليمة يحيوي: "جدل المتعالي والتاريخي في مدونة التفسير الإسلامي من الطبري إلى القرطبي"، رسالة ماستر، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 1436هـ/2015م، ص72.

الباحثة في المدونة الإباضية متحاشية التعصب المذهبي أو الدفاع المنتسج وتعد محاولة الباحثة إسهام في إعادة كتابة التاريخ المذهبي بشكل منفتح على الآخر وعدم المصادرة عليه لمجرد الاختلاف في المذهب أو الطائفة¹.

توزعت درستها على فصلين عالج الأول منهم المنظور العقدي بين الإباضية والآخر اشتمل على الأسماء والصفات، قضية خلق القرآن، رؤية الله، مسألة القضاء والقدر، الوعد والوعيد.

أما الفصل الثاني فقد عالج الإباضية والآخر في العبادات والمعاملات وتضمن ثلاث قضايا: العبادات والقربات، والممارسات السياسية، والعلاقات الاجتماعية.

– فهيمة بوشيبى، وبسمة بطوش، والخامسة براح: المدونة السياسية التراثية في الغرب الإسلامي بين نظر الفقيه وحاجة السلطان.

حاولن في دراستهن هاته النفاذ إلى دراسة المدونة السياسية التراثية في الغرب الإسلامي، مع التركيز على مصدر إنتاج هذا التراث الفقيه والسلطان؛ في محاولة فك العلاقة القائمة بينهما هذه العلاقة المتشابهة.

ودراستهن قامت على محاولة الإجابة عن إشكالية هل أنتج الغرب الإسلامي مدونة سياسية تعكس باقتدار ثنائية الفقيه والسلطان؟ بالإضافة إلى إشكاليات أخرى².

توزعت دراستهن على أربعة فصول فصل تمهيدي وثلاث فصول أساسية، احتوى فصل التمهيدي على بعض المصطلحات التي لها علاقة بالبحث كالفقيه

¹ سليمة فرج: "بالإباضية والآخر في تاريخ المغرب الإسلامي - رؤية من الداخل-"، رسالة ماستر، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 1437هـ/2016م، ص3.

² فهيمة بوشيبى، بسمة بطوش، الخامسة براح: "المدونة السياسية التراثية في الغرب الإسلامي - بين نظر الفقيه وحاجة السلطان-"، رسالة ماستر، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 1436هـ/2015م، ص3.

والسلطان وفيه أيضا مقارنة بين السلطان والفقير حول منطق منح الشرعية واحتكار السلطة.

وفي الفصل الأول تم معالجة السلطان من التعالي بالسياسي إلى تكريس مفاهيم الطاعة وفيه تم تشخيص صورة التعالي بالسلطة السياسية وذلك من خلال نصوص المدونة.

وفي الفصل الثاني تم إيضاح جهود الفقيه في الحد من مطلقية السلطان وذلك عبر تأطيره للفعل السياسي والرقابة الفقهية للسلطان.

بينما تصدى الفصل الثالث لازدواجية الولاء بين نظر الفقيه وحاجة السلطان، وذلك من خلال الموازنة بين مقتضيات الطاعة والنصيحة، والتفاعل بين سلوك المشروعية ومنافسة السلطة السياسية.

- دراسة نادية بلمزيتي تحت عنوان المرأة في المدونة التراثية للغرب

الإسلامي (ق6-7هـ/12-13م) - مساهمة في حقل تاريخ الأفكار والذهنيات -.

ويمكن أن نكتشف اعتماد منظومة القيم لدى الباحثة وفي نفس الوقت تغلغل هذه القيم في شتى الميادين عند قولها "نظرة الصوفية للمرأة كجسد للغواية ومبعث لخطيئة الرجل من جهة وكمصدر للقداسة من جهة أخرى".¹

تبرز الباحثة قيمة من قيم الإسلام وهي إنصاف الإسلام للمرأة "الإسلام هو الذي أنصف المرأة لأن الإسلام حمل أحكام الشريعة ومبادئ سامية رفعت من شأن المرأة واعتبرتها كائناً وظيفياً مكملاً للوجود بل وخصتها بضوابط وتعاليم وضحت النظر إليها وحددت مسؤوليتها وأدوارها في الحياة العامة".²

¹ نادية بلمزيتي: "المرأة في المدونة التراثية للغرب الإسلامي (ق6-7هـ/12-13م) - مساهمة في حقل تاريخ

الأفكار والذهنيات -"، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 1437هـ/2016م، ص3.

² المصدر نفسه، ص2.

وتفرعت دراسة الباحثة على خمس فصول، حيث تناولت في الفصل الأول المرأة في الغرب الإسلامي من خلال مدونة التفسير والحديث، ووضحت في الفصل الثاني المرأة في الغرب الإسلامي من خلال مدونة الفقه والنوازل، والفصل الثالث أظهرت المرأة في الغرب الإسلامي من خلال مدونة التاريخ والتراجم، أما الفصل الرابع فقد أبرزت فيه المرأة في الغرب الإسلامي من خلال مدونة الأدب والأمثال، وخصصت الفصل الخامس للمرأة في الغرب الإسلامي من خلال مدونة التصوف والمناقب.

ومن الأعمال التي هي قيد الإنجاز في هذا المحور عمل عائشة بن صفا: "سؤال الإنصاف في المدونة التاريخية الغربية: المدونة الفرنسية مجالاً/الحالة الموحدية مثلاً"، رسالة ماستر.

❖ دراسة الخطابات المخاتلة المستندة إلى مستويات متزاحمة من

اللامعبر عنه واللامفكر فيه.

ندرج في هذا المحور دراسة كل من:

- دراسة إلهام قاتل تحت عنوان النص الخلدوني -زوايا النظر ومستويات

القراءة-.

حيث قامت الباحثة في هذه الدراسة بخوض غمار النص الخلدوني لعدة اعتبارات لعل أهمها "هو النص الخلدوني في حد ذاته، إذ يعتبر من بين أهم النصوص التاريخية التي تمتلك القدرة على استفزاز القارئ وإثارته، ذلك أنه مشحون بأكثر من بعد، وبعده مستويات"¹.

قسمت درستها على النحو الآتي فصل تمهيدي بعنوان النص الخلدوني منجز الماضي ومكتشف الحاضر يحتوي على حضور النص الخلدوني في الكتابات

¹ إلهام قاتل: "النص الخلدوني -زوايا النظر ومستويات القراءة-"، رسالة ماستر، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 2012-2013م، ص2.

الوسيطية، وحضور النص الخلدوني في الكتابات الحديثة الشرقية منها والغربية، وهذا من أجل تتبع مسلك النص الخلدوني منذ كتابته إلى غاية العصر الحديث.

وعالجت في الباب الأول زوايا النظر إلى النص الخلدوني وفيه تطرقت لنص الخلدوني بين الإبداع والتلفيق هذا في الفصل الأول أما الفصل الثاني فقد بينت النص الخلدوني بين الأصالة والحداثة.

وحدثتنا الباحثة في الباب الثاني عن مستويات القراءة في النص الخلدوني وتتازع هذا الباب فصلان تتاول الأول منهما المستوى السياسي في النص الخلدوني وعالج الثاني منهما المستوى الديني والفكري في النص الخلدوني.

– دراسة سجية بوساق: العقل الفقهي في التاريخ –مقاربة لمسلك الفقيه في

الفهم والتنزيل خلال العصر المرابطي-.

حضور المنظومة القيمية لدى الباحثة مبنوث في ثنايا البحث ونحن بدورنا سنرصد بعض من هاته المواطن لنتبين تغلغل القيم في دراستها ومن ذلك إيضاح تغلغل القيم في العديد من الميادين الأخرى.

من خلال النوازل استطاعت الباحثة أن تبرز الكثير من القضايا وبينت هشاشة الوضع الأخلاقي السائد¹، وقالت "إن تردي المنظومة القيمية الأخلاقية للمجتمع يعتبر انقسام بين البنى الاجتماعية والقوى المؤطرة لها التي تداعت أركانها فلم يكن لها حضور في ضبط التورطات الأخلاقية والقيمية لهذه البنى"، وتبين خطورة انهيار المنظومة القيمية، وتوضح كذلك القطيعة بين صاحب القيم والمحمولة إليه باعتبار الحامل القدوة والأسوة².

¹ سجية بوساق: "العقل الفقهي في التاريخ –مقاربة لمسلك الفقيه في الفهم والتنزيل خلال العصر المرابطي-"، رسالة ماستر، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 1435هـ/2014م، ص23.

² المصدر نفسه، ص.24.

تظهر الباحثة قيمة من القيم الإسلامية ومقصد من مقاصد الشريعة وهي القيمة من تحريم زواج المتعة من أجل الحفاظ على النسل، ومن القيم التي ذكرتها الباحثة قيمة الجهاد في سبيل الله ويظهر هذا في اهتمام المرابطين بهذا الجانب، ومن القيم الخطيرة "خط الرمل" والتي اعتبرها الإسلام أكبر كبائر الشرك بالله حيث صنفتها الباحثة من صنوف الشرك وكفر العلماء صاحبها¹.

وقد قامت الباحثة بتقسيم دراستها إلى ثلاث فصول عالجت في الفصل الأول العقل الفقهي وتطبيق النصوص للوقائع وتضمن ثلاث مجالات مجال العبادات والمعاملات ومجال العادات.

ونوهت في الفصل الثاني إلى العقل الفقهي ونقلت الوقائع من النصوص وبينت فيه سلطة الأعراف والعوائد، وفقه المصالح والمقاصد.

أما الفصل الثالث فقد وضحت فيه العقل الفقهي إكراهات التاريخ وسياج النصوص وتضمن إيقاع الحياة اليومية، وضروب المعاملات المالية.

- دراسة سعدية معيزة، ولبنى شريف، الموسومة بالخطاب التاريخي بالمغرب الإسلامي في سياق التجاذب بين سلطتي المنبر والبلاط - عصر الموحدين -.

تشير الباحثة إلى دور المخيال في صياغة القيم عند الأمم الإسلامية وإنتاج التصورات التي تحرك وتوجه التمسك الاجتماعي، وفي هذا دلالة عظيمة لتغلغل القيم فإن كان للقيم التغلغل حتى في المخيال فلك أن تتخيل حجم النفاذ الحاصل في الميادين الأخرى².

¹ المصدر نفسه، ص 23- 24.

² سعدية معيزة ولبنى شريف: "الخطاب التاريخي بالمغرب الإسلامي في سياق التجاذب بين سلطتي المنبر والبلاط - عصر الموحدين -"، رسالة ماستر، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 1436هـ/2015م، ص 39.

نرصد حضور العديد من القيم منتشرة فيهابته الدراسة منها قولهما "في حين لم يغب الجانب الخلفي عن المشهد الذي صوره المؤرخ للصوفي المتزهد"، واليك بعض من القيم المذكورة "في حين تظهر قيم كالصدق ودمائة الخلق وصيانة والعفاف والجد والحزم وملازمة الصمت والبعد عن الهزل والتزام الوقار وفض البصر هذه الصفات التزم بها العديد من الأعلام"¹.

وقد قامت الباحثتين بتفحص المضمرة السياسية للخطاب التاريخي في الغرب الإسلامي من خلال التجربة الموحدية، وعالجتا هذا الموضوع من خلال ثلاث فصول جاء الفصل الأول بعنوان مؤرخ البلاط وحضور رجل السياسة مجالاً ضم ثلاث صور صورة السلطان وهو يحمل سيفاً وصورة الأبوة الحانية المنفقة والحامية المشفقة، وصورة التاج والإنجاز.

بينما خصص الفصل الثاني لمؤرخ المنبر وصورة حضور رجل العلم مخيالاً واحتوى على ثلاث قضايا وهي أعلام فقه متفانية، وأعلام زهد متعالية، كمال العلامة في التحلية والوسامة.

أما الفصل الثالث والأخير في هاته الدراسة فقد تناولت فيه الباحثتين صورة من تجاذب المجال والمخيال بين السلطتين وقد تقاسمه محورين وضح المحور الأول مؤرخ البلاط وصورة حضور رجل السياسة مخيالاً، بينما تطرق المحور الثاني إلى مؤرخ المنبر وصورة حضور رجل العلم مجالاً.

¹ المصدر نفسه، ص47-48.

– دراسة سمية مقورة والتي تحمل عنوان: تمثلات الثقافة الفقهية في الغرب الإسلامي وأثرها في تشكيل المخيال الجمعي.

تؤكد لنا الباحثة سيمة مقورة على تغلغل القيم في المخيال من خلال هاته الدراسة حيث قامت "باستشفاف التمثلات الثقافية الفقهية في التصور والاعتقاد كما في السلوك والاعتقاد"، وخلصت إلى أن للعرف دور لا يستهان به في صياغة الأفعال والسلوك وهو المتحكم حتى وإن لم يفصح عن هذا وبرز الشرع في الصدارة¹.

ومن الأهمية بالقيم تذكر الباحثة مثلاً "كانت بعض النسوة تختلطن وتختلن وفي المقابل كانت نسوة لهن حضور إيجابي في المنظومة القيمية"²، وبهذا جعلت الباحثة من القيم مقياس يقاس به سلوك الأفراد والمجتمع.

وتقوم دراسة الباحثة على فصل تمهيدي وفصلين رئيسيين بينت في الفصل التمهيدي بعض الفهوم كالتَّمثُل والمخيال.

وعالجت في الفصل الأول تمثلات الثقافة الفقهية في التصور والاعتقاد من خلال بعض التصورات والاعتقادات كالكهانة والتنجيم، والرقي والتمايم، والسحر والجن، والرؤى والأحلام، والكرامات والخوارق.

بينما تطرقت في الفصل الثاني إلى تمثلات الثقافة الفقهية في سلوك الاعتقاد من خلال بعض القضايا التي تقع ضمن دائرة السلوك كالشطرنج والقمار، والغناء والموسيقى، والخلوة والاختلاط، والبدع والأهواء، وارتياح الحمام.

ومن الأعمال التي هي قيد الإنجاز في هذا المحور عمل أحلام بزاف: "قضية فدك في أفق المظلومية الشيعية: التاريخ والإيديولوجيا".

¹ سمية مقورة: "تمثلات الثقافة الفقهية في الغرب الإسلامي وأثرها في تشكيل المخيال الجمعي"، رسالة ماستر، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 1437هـ/2016م، ص84.

² المصدر نفسه، ص71.

ومن خلال رصدنا لهاته الأعمال وجدنا أنها عادة ما تنتهي -على غرار أنها هي آفاق وتطلعات- بطرح آفاق وتطلعات وما يمكن أن نذكره من التطلعات المتوصل لها ما توصلت له الباحثة زهوة أعزيبي من آفاق وذلك من خلال طرح مواضيع يمكن أن يجد المهتمين بهذا المجال مآربهم منها، كموضوع الإيمان والموقف من الموت، وموضوع التسامح الديني، وموضوع اللباس وهذا من خلال تقديم لمحة عن هاته المواضيع عبر ثلاث نواحي الناحية الموضوعية، والناحية المنهجية، والناحية المصدرية، وبهذا تعطي صورة شبه واضحة الرؤية للباحث المهتم في مثل هذا المجال¹، صف لهذا الطرافة والنوعية المتمثل في الكيف لا الكم، والتصدي لمواضيع غاية في الأهمية بانفتاحيه.

ويتبين لنا أن ما ذكرناه في السابق عن المنظومة القيمية قد عكسته التجليات في مشروع المدرسة القيمية وجاءت الأعمال المنجزة فيه تترا ويسند بعضها بعض من أجل سيرورته واستمراره وقد خطى خطوة في سبيل تحقيق بعض الأهداف ولعل من بينها أن جعل من الحلم حقيقة عندما زرع بذور هاته المدرسة التي تسعى لفرض حضور التاريخ من جديد وإرجاع هيئته.

¹ زهوة أعزيبي: ملامح المنظومة القيمية لمجتمع الغرب الأوسط، ص 8-9.

الخاتمة

وحيث قد أرف الإشراف على ختام هاته الدراسة، بعد محاولة طمحننا من خلالها لإدراك أبعاد المحطتين: التفسير الإسلامي للتاريخ، والمقاربة التاريخية للمنظومات القيمة، عبر المقابلة بينهما، وسبر أغوارهما، وحيث أننا لا ندعي الإلمام بهما على سبيل التعمق والإحاطة، لأنه من الصعوبة بمكان الإلمام بـ "التفسير الإسلامي للتاريخ" لوحده، فما ظنك إن انضافت إليه "المقاربة التاريخية للمنظومات القيمة"، ولكن عزاءنا في هذا أن نكون وفقنا في رسم صورة تقريبية عن المدرستين، وخلصنا في الأخير إلى جملة من النتائج والإجابات.

في هاته الدراسة لاحظنا تقاربا كبيرا بين مدرستي الإسلاميات والقيميات، وربما مرد ذلك إلى الاشتراك في المنطلقات، وتشابه الرؤى، والسعي إلى ذات الغايات، فمدرسة التفسير الإسلامي تمنح القيم أهمية بالغة؛ فتارة تفسر بها الحوادث التاريخية، وتارة تصنفها في صدارة الحلول للقيام بالدول، أو السعي إلى إحداث أي تغيير كان، وكيف لا، والقيم تمثل روح الحضارة.

ويظهر بجلاء التقارب بين المدرستين، في تناغم تصورهما عن العبادة؛ فالعبادة عندهما تتخطى مفهوم الطقوس، لتكون تجربة حياة كاملة، يتوازن فيها الأخذ والعطاء، وتغدو مقياسا يقاس به نجاح أو فشل التجربة البشرية، من خلال انسجامها ووفاقها مع السنن والنواميس الكونية، التي تحكم وتسير حركة التاريخ.

كما يتجلى توافق ما بين المدرستين في موقفهما المتزن من المادة -التي راهن آخرون عليها، وجعلوا منها تفسيرا قائما بذاته- لأجل ألا تطغى على الإنسان، الذي هو محل التقارب بينهما كذلك، إذ احتل مكانة رفيعة، ودرجة عالية، نظير ما عاناه من تهमيش وإقصاء، في ظل التفسيرات الأخرى.

ومن أوجه التقارب التي رصدناها -أيضا- بين المدرستين، الانطلاق من نظرة واقعية إلى الحياة، ودور الإنسان فيها، مع النأي عن الإغراق في المثالية، والإعراض بالقدر الضروري عن العصبية، مع تحري أساليب التغيير والارتقاء بالحضور الإنساني.

والواقع أنها كثيرة هي نقاط الالتقاء بين المدرستين، والمجال لا يتسع لرصدها جميعا، وهي مبنوثة في طيات الدراسة.

يمكن القول إن التفسير الإسلامي للتاريخ، من خلال ما أظهر من أفكار، ورؤى موضوعية في التعامل مع الآخر، وشمولية وموازنة بين مختلف العلاقات المتبادلة، والقيم التي تصنع حركة التاريخ، مادية كانت أو روحية، طبيعية أو غيبية، وفوق هذا النظرة والانطلاقة الواقعية، والابتعاد عن المثالية، ونبذ للعصبية، والتنبيه على فداحة التفسيرات الأحادية، مع نظرية الحتمية التفاضلية حول استئناف الدورة الحضارية، وفق قانون المداولة، جدير لأن يتصدى لتفسير التاريخ البشري.

وفي مقابل هذا عصفت المثالية، وكذا العصبية، مع المراهنة على عامل دون آخر في تفسير الظواهر التاريخية، بجل التفسيرات الغريبة، كالمادية الماركسية، والمثالية الهيجلية، اللتين فسرتا الأحداث التاريخية من خلال عصرهما، لا العصر الذي وقعت فيه تلك الحوادث، وحتى الدورية التوينبية، التي ما فتأت حتى غرقت هي الأخرى في المذهبية مع التشاؤمية. وتناقض صريح وقعت فيه هاته التفسيرات، لما ناقضت منطلقاتها التي بدأت بالحركية، لكنها آلت في الأخير إلى السكونية، من خلال السيطرة الكاملة لفكرة هذا التفسير أو ذاك، بينما هي مجرد افتراضات، وكما أشرنا سابقا فهذه التفسيرات مبنية على افتراضات لا على وقائع.

إن إقصاء بعد حيوي فاعل، كالبعد الغيبي، يعد من العيوب المشينة في تناول أحداث التاريخ، وخاصة إن تعلق الأمر بالفترات الأولى، من تاريخ هذه الأمة، إذ

يستحيل تفسير بعض الأحداث من دون استحضار العوامل الغيبية، لكن المزيف والمشوّه للتاريخ يستطيع، والحال نفسه بشأن استبعاد عنصر القيم كمحرك للأشخاص، فما الذي دفع بعمر بن عبد العزيز، على سبيل المثال، إلى الخروج عن ماله، وسلوك الزهد في أقصى مقامه؟! أين التفسير المادي ليفسر لنا هاته الحالة؟! لكن مع آليات التزييف والتشويه يمكن أن يُقدّم تفسير ما!!

لقد توصلنا إلى القول بأن أهمية التاريخ تكمن في إدراك السنن والقوانين، التي تحكم حركة التاريخ، لذا حرص الإسلام على إنكاء التفكير في هاته السنن، وفي المقابل نهى عن هدر الطاقة الفكرية، كالتفكير في أمور لن يصل إليها العقل البشري، مثل ما فعلت الكثير من الفرق والمذاهب الإسلامية، فراحت تفكر في ذات الله، وتناست التفكير في آلاء الله، فضاعت، وأضاعت طاقات جليلة، لم تجن منها سوى التعب والبعد عن الله، ولو تفكرت، واشتغلت في البحث عن السنن، لأدركت كم هي عظيمة النتائج المتحصل عليها من السنن والقوانين، التي تحكم حركة التاريخ، فمن خلالها نستطيع أن نقوم بإحداث تغيير في الوضع الذي آلت إليه الأمة الإسلامية، ولاشك أن الذي يحمل قلباً صادقاً يتألم لمصاب أمته، يسعى جاهداً لإصلاح ما يمكن إصلاحه، وبفقه السنن يستطيع أن يترك بصمته في تغيير هذا الوضع المتأزم.

ولأن التفسير الإسلامي للتاريخ يؤمن بالواقعية، ويبني عليها تفسيره، فقد طبّق منظرو التفسير الإسلامي للتاريخ -عماد الدين خليل، وعبد الحليم عويس- ما دعوا إليه من أفكار، بحيث جعلوا من التطبيق حقلاً يستدلون منه على التنظير، فيعطي أحدهم فكرة، ثم تجده يستدل عليها بتجربة تاريخية، يقوي بها من طرحه، ولعل هذا ما يفسر التداخل الحاصل بين التنظير والتطبيق في كتاباتهم، وقد مر بنا كيف أن منظري التفسير الإسلامي للتاريخ قد نجحوا في تطبيق ما نظروا له، من خلال القضايا التي قمنا بتقصي التطبيق فيها، وهي: البعد الغيبي، والسنن والقوانين التي تحكم حركة

التاريخ، والصراع في حركة التاريخ، وسقوط الدول والحضارات، كنماذج مختارة من انشغالات المدرسة.

تكتسب القيم أهمية بالغة، وذلك لتغلغلها في جميع أنحاء الحياة البشرية، ولأنه بالقيم تقوم الحياة، وبزوالها تزول وتحول، كان إحيائها في المجتمع هو الدواء، فالقيم علاج للعفن الذي استشرى في جسد الأمة، ومن دون القيم لن يقوم للأمة كيان، فالتهديد الحقيقي للكيان الحضاري مرده للقيم، وتزداد القيم جدوى عندما تدرس بمنظور تاريخي، بحيث نستطيع من خلال تجلياتها في التاريخ، إدراك التفاعل الحاصل بين القيم ومختلف السلوكيات، وقدرتها الفاعلة في إحداث تحولات كبرى في حركة التاريخ، وبهذا نمتلك قدرة على بناء الحاضر، وصناعة واستشراف المستقبل.

لذلك فإن دراسة التاريخ من خلال مقارنة المنظومات القيمية، قد نجح في فتح آفاق جديدة، جديرة بالبحث والدراسة، كما ساعد على فهم واستنباط الكثير من الحوادث التاريخية، وهذا ما عكسته تجليات مدرسة القيميات خلال تحقيها بدراسة المنظومات، والمدونات، والخطابات، بل وفي اعتنائها بتحقيق عدد من النصوص المخطوطة، التي تمثل رافدا على قدر كبير من الأهمية لرصيد المدرسة من المدونات التراثية، مما يخدم بلا شك مشروع القيميات، وكذلك الاشتغال على الدائرة المنهجية، لما لذلك من دور في تقويم ومراجعة دور المدرسة ومستوى عطائها.

كل ذلك، والمشروع لا يزال في مرحلة مبكرة من عمره، ورغم كل ما واجهه من عوائق، وعقبات، وتشكيك في قيام مدرسة تاريخية جزائرية، إلا أنه أضحى في وسعه أن يسمع صوته، ويمضى في طريقه نحو تحقيق طموحاته.

وفي الأخير، أقول إن أي محاولة تغيير ما لم تضع في حسابها الوعي بالسنن الكونية، وما للقيم من أثر مشهود في إحداث تحولات كبرى في مجرى التاريخ البشري والكوني، فلن يكتب لها النجاح الحقيقي.

الورّاقية

- القرآن الكريم (رواية ورش عن نافع)

I - قسم مصادر الدراسة:

أولاً- المصادر التراثية المشتركة:

- ❖ البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي: الأدب المفرد، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط3، بيروت: دار البشائر الإسلامية، 1409هـ/1989م.
- ❖ —————: الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط1، [دم.]: دار طوق النجاة، 1422هـ.

ثانياً- مصادر التفسير الإسلامي للتاريخ:

- ❖ بن نبي، مالك: تأملات، ط1، دمشق: دار الفكر، 1979م.
- ❖ —————: شروط النهضة، دمشق: دار الفكر، 1986م.
- ❖ —————: ميلاد مجتمع، ط3، الجزائر-دمشق: دار الفكر، 1406هـ/1986م
- ❖ خليل، عماد الدين: حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، ط1، دمشق: دار ابن كثير، 1426هـ/2005م.
- ❖ —————: حول تشكيل العقل المسلم، ط4، فيرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1412هـ/1991م.
- ❖ —————: حول القيادة والسلطة في التاريخ الإسلامي، ط1، مصر: مكتبة النور، 1405هـ/1985م.

- ❖ —————: "حول المنهج في الكتابة التاريخية: تعقيب على كتاب هكذا ظهر جيل صلاح الدين، وهكذا عادت القدس، لماجد عرسان الكيلاني"، مجلة أسلمة المعرفة، ع: (13) 1998م، ص 141-151.
- ❖ —————: التفسير الإسلامي للتاريخ، ط5، بيروت: دار الملايين، 1991م.
- ❖ —————: دراسة في السيرة، ط2، بيروت: دار النفائس، 1425هـ.
- ❖ —————: في التاريخ الإسلامي فصول في المنهج والتحليل، ط1، دمشق: المكتب الإسلامي، 1401هـ/1981م.
- ❖ —————: ملامح الانقلاب الإسلامي في خلافة عمر ابن عبد العزيز، ط3، بيروت: مؤسسة الرسالة، 1398هـ/1978م.
- ❖ رضا، محمد رشيد بن علي: تفسير القرآن الحكيم - تفسير المنار-، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
- ❖ السامرائي، نعمان عبد الرزاق: في التفسير الإسلامي للتاريخ، بائنة: دار الشهاب، [د.ت].
- ❖ صديقي، عبد الحميد: تفسير التاريخ، ط1، الكويت: دار القلم، 1400هـ/1980م.
- ❖ عويس، عبد الحليم: أوراق ذابلة من حضارتنا - دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية-، ط1، الجيزة: مؤسسة اقرأ، 1431هـ/2010م.
- ❖ —————: بنو أمية بين السقوط والانتحار دراسة حول سقوط دولة بني أمية في المشرق، ط1، القاهرة: دار الصحوة، 1407هـ/1987م.
- ❖ —————: التكاثر المادي وأثره في سقوط الأندلس، ط1، القاهرة: دار الصحوة، 1414هـ/1994م.

- ❖ —————: "الظاهرة الحضارية في القرآن والسنة"، مجلة البحوث الإسلامية، ع: (21)، 1408هـ، ص159-194.
- ❖ —————: فقه التاريخ -في ضوء أزمة المسلمين الحضارية-، ط1، القاهرة: دار الصحوة، 1414هـ/1994م.
- ❖ —————: فلسفة التاريخ -نحو تفسير إسلامي للسنن و النواميس الكونية والاجتماعية-، ط1، القاهرة: دار الصحوة، 1432هـ/2011م.
- ❖ قطب، سيد: في ظلال القرآن، ط17، بيروت-القاهرة: دار الشروق، 1412هـ.
- ❖ —————: في التاريخ فكرة ومنهاج، ط8، القاهرة: دار الشوق، 1422هـ/2001م.

ثالثا - مصادر المقاربة التاريخية للمنظومات القيمية:

- ❖ أعزبي، زهوة: "ملاحم المنظومة القيمية لمجتمع الغرب الأوسط من خلال العصر الزياني -جدل الواقع والمثال-"، مشروع رسالة دكتوراه ل.م.د، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، مسجل منذ سنة 1435هـ/2014م.
- ❖ برزاق، نذير: "معالم المنظومة الفكرية لمجتمع المغرب الأوسط خلال القرنين 8 و 9 هـ/14 و 15م -جدل العقل والنقل-"، مشروع رسالة دكتوراه ل.م.د، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، مسجل منذ سنة 1435هـ/2014م.
- ❖ بن العيطر، مصطفى: "تراجم المغاربة من كتاب عقود الجمان للزركشي (ت 794هـ/1392م) -دراسة وتحقيق-"، رسالة ماستر، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 2012-2013م.

- ❖ بوساق، سجية: "العقل الفقهي في التاريخ -مقاربة لمسلك الفقيه في الفهم والتنزيل خلال العصر المرابطي-"، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 1435هـ/2014م.
- ❖ بوشيبى، فهيمة، وأخريان: المدونة السياسية التراثية في الغرب الإسلامي -بين نظر الفقيه وحاجة السلطان-"، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 1436هـ/2015م.
- ❖ بوصبع، حليلة، وحليمة يحياوي: "جدل المتعالي والتاريخي في مدونة التفسير الإسلامي من الطبري إلى القرطبي"، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 1436هـ/2015م.
- ❖ بولطيف، لخضر: الفقيه والتاريخ في الغرب الإسلامي -مقاربات منهجية-، ط1، القاهرة: دار رؤية، 2013م.
- ❖ حريري، عبد الله محمد أحمد: "القيم في القصص القرآني"، رسالة دكتوراه، قسم أصول التربية الدراسات العليا، جامعة طنطا، 1409هـ/1988م.
- ❖ الصمدي، خالد: "مستقبل التربية على القيم في ظل التحولات العالمية المعاصرة"، مجلة البيان، ع: (194)، شوال 1424هـ/ ديسمبر 2003م، ص48-56.
- ❖ عبد الله، عبد السلام: "تراجم الأندلسيين من كتاب عقود الجمان للزركشي (ت 794هـ/1392م) -دراسة وتحقيق-"، رسالة ماجستير، جامعة المسيلة، 2014-2013م.
- ❖ العمري، أكرم ضياء: قيم المجتمع الإسلامي من منظور تاريخي، ط1، قطر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1414هـ.

- ❖ فرج، سليمة: "الإباضية والآخر في تاريخ المغرب الإسلامي -رؤية من الداخل-"، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 1437هـ/2016م.
- ❖ قاتل، إلهام: النخبة العالمية في المغرب الأوسط (7-9هـ/13-15م) -منطلقات الفكر وأنماط السلوك-"، مشروع رسالة دكتوراه ل.م.د، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، مسجل منذ سنة 1435هـ/2014م.
- ❖ —————: "النص الخلدوني -زويا النظر ومستويات القراءة-"، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 2012-2013م.
- ❖ قلي، نسمة: "التأليف في الصلوات والتكلمات بالغرب الإسلامي -مقاربة منهجية-"، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 1434هـ/2013م.
- ❖ مجناح، نسيم: "أثر كتب النوازل الفقهية في الكتابة التاريخية -رصد وتقويم-"، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 1435هـ/2014م.
- ❖ معيزة، سعدية، وشريف، لبنى: "الخطاب التاريخي بالمغرب الإسلامي في سياق التجاذب بين سلطتي المنبر والبلاط -عصر الموحدين-"، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 1436هـ/2015م.
- ❖ مقران، خالد: "كُمامة الزهر وطُرفة الدهر لابن بدرون (حي سنة 608هـ/1212م)"، رسالة دكتوراه ل.م.د، قسم التاريخ، جامعة الشلف، 2014م.
- ❖ مقورة، سميرة: "تمثلات الثقافة الفقهية في الغرب الإسلامي وأثرها في تشكيل المخيال الجمعي"، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة المسيلة، 1437هـ/2016م.

II - قسم مراجع الدراسة:

- ❖ إسماعيل، محمود: فكرة التاريخ بين الإسلام والماركسية، ط1، القاهرة: مكتبة مدبولي، 1988م.
- ❖ الخطيب، جبر محمد: "المنظور التاريخي في منهج المؤرخ عماد الدين خليل"، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، ع: (2)، يونيو 2014م، ص189-212.
- ❖ الخضيرى، زينب: فلسفة التاريخ عند ابن خلدون، القاهرة: دار الثقافة 1409هـ/1989م.
- ❖ رسلان، صلاح الدين: القيم في الإسلام بين الذاتية والموضوعية، القاهرة: دار الثقافة لنشر والتوزيع، 1410هـ/1990م.
- ❖ زعفان، الهيثم: "العلمانية الانحلالية ومنظومة القيم الإسلامية"، مجلة البيان، ع: (194)، شوال 1424هـ/ديسمبر 2003م، ص72-78.
- ❖ زكريا، جاسم محمد: "القيم الإنسانية في مرتكزات الشريعة الإسلامية"، مجلة التسامح، ع: (18)، ربيع 1428هـ/2007م، ص54-63.
- ❖ شيحاني، محمد فيصل: القيم والأعراف الأخلاقية في الحضارة العربية الإسلامية -دراسة تاريخية تربوية تحليلية-، حمص: مطبعة اليمامة، [د.ت.].
- ❖ أبو شوك، أحمد: "التفسير الإسلامي للتاريخ، مجلة أسلمة المعرفة"، ع: (37-38)، صيف/خريف: 1425هـ/2004م، ص129-155.
- ❖ —————: "علم التاريخ إشكالات المنهجية ومشروعات الأسلمة"، مجلة أسلمة المعرفة، ع: (24)، 19-07-2008م، ص55-89.
- ❖ صائب، عبد الحميد: فلسفة التاريخ في الفكر الإسلامي -دراسة مقارنة بالمدارس الغربية الحديثة المعاصرة-، ط2، بيروت: دار البصائر، 2014م.

- ❖ طحطح، خالد فؤاد: نظريات في فلسفة التاريخ، ط1، تطوان: مطبعة الخليج العربي، 1427هـ/2006م.
- ❖ عبد العزيز الدوري: "فلسفة التاريخ - عرض تاريخي-"، مجلة عالم الفكر، ع: (2)، سبتمبر 1971م، ص 65-75.
- ❖ عثمان، حسن: منهج البحث التاريخي، ط8، القاهرة: دار المعارف، [د.ت].
- ❖ العمري، أكرم ضياء: منهج النقد عند المحدثين -مقارنة بالمنهج النقدي الغربي-، ط1، الرياض: دار إشبيليا، 1417هـ/1997م.
- ❖ العوّا، عادل: الإنسان ذلك المعلوم، ط2، بيروت: منشورات عويدات، 1977م.
- ❖ يزبك، قاسم: التاريخ ومنهج البحث التاريخي، ط1، بيروت: دار الفكر اللبناني، 1990م.

الكشافات

01- كشاف الآيات القرآنية

02- كشاف الاصطلاحات العلمية

01- كشاف الآيات القرآنية

الصفحة	السورة	رقمها	الآية
30	البقرة	30	﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ ﴾
28	البقرة	39-30	﴿...وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولٰٓئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۗ ﴾
66	البقرة	129	﴿ رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۗ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۗ ﴾
38	البقرة	151	﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعٰلَمِينَ ۗ ﴾
23	آل عمران	137	﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ۗ ﴾
67	الأنعام	38	﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَيْرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَّمٌ أَمْثَالِكُمْ ۗ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ۗ ﴾
54	الأعراف	34	﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۗ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۗ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۗ ﴾

67	الحجر	04	﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾
26	الإسراء	59	﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوْلُونَ ^ط وَعَاتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ^ط وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾
30	الإسراء	70	﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾
25	العنكبوت	40	﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ ^ط فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَن أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَن خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَن أَغْرَقْنَا ^ط وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾
44	العنكبوت	64	﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهُوٌّ وَلَعِبٌ﴾
69	السجدة	9	﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ ^ط ﴾
68	الأحزاب	21	﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾
23	فاطر	43	﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ ^ط فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ^ط وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾

30	الجاثية	12	﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِيَجْرِيََ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ ۖ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۖ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾
67	الحجرات	15-14	﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمَّنَّا ۗ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا ۗ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ...﴾
34	الذاريات	56	﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾
34	القيامة	36	﴿أَحْسَبُ الْإِنْسَانَ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾
69	الشمس	8 - 7	﴿وَنَفْسٍ ۖ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾﴾

07- كشاف الاصطلاحات العلمية

التجربة التاريخية 15، 39.	-أ-
التحدي 16، 27، 35، 50.	الأحداث المرئية 49.
التراكم الأخلاقي 59.	الاختيارات الحرة 25.
التربية الإيمانية 67.	الأخلاق 31، 32، 40، 59، 61.
التسخير 30، 67.	الاستجابة 16، 19، 21، 35، 62.
التصورات 78، 88، 90.	الاستخلاف 34، 41، 43.
التطبيق 42، 47، 49، 54، 55،	الإنجاز الحضاري 29.
56، 57، 66.	الانفتاحية 73، 74.
تطور المنهج التاريخي 11.	الإيديولوجيا 90.
التعصب 22، 74، 84.	الإيمان 35، 36، 68، 71، 81،
التفسير الإسلامي للتاريخ 14، 15،	91.
16، 18، 19، 20، 21، 22، 23،	-ب-
24، 25، 26، 27، 29، 30، 31،	البناء القيمي 62.
32، 33، 34، 35، 36، 37، 38،	الباطل 13، 35، 36، 62.
40، 41، 42، 49، 51، 54، 55،	البعد الغيبي 16، 18، 20، 22، 42،
56، 57، 74، 78.	43، 44، 56.
التفسير البطولي للتاريخ 37.	-ت-
تفسير التاريخ 13، 14، 16، 18.	التجديد 11، 73، 83.

الحركية 36، 38، 51، 54.	التفسير الحضاري 16، 19، 35.
الحرية 24، 25، 26، 27.	التفسيرات الغربية 18.
الحضارة 11، 15، 21، 29، 31، 35، 46، 61، 66.	التفسيرات الوضعية 15، 18، 38.
الحق 12، 35، 36، 58، 73.	التقابل الشامل 36.
-خ-	التفوق الحضاري 42.
خارجي أفقي 38، 48.	التكريم 30، 43.
الخبرة الحسية 64.	التنظير 18، 42، 47، 48، 49، 52، 53، 54، 53، 54، 55، 56، 57.
الخطابات المخاتلة 86.	التوازن 41، 60، 64، 74.
الخطاب التاريخي 88.	التوينبية 16.
الخطاب النازلي 76.	-ج-
خلافة الإنسان 28.	الجماعة البشرية 25، 35.
الخلفيات الفكرية 78، 81.	الأنا وآخر 83.
خلق الله للأفعال 27.	-ح-
الخير 27، 38، 49، 58، 59، 62، 64.	الحتمية 16، 24، 25، 40، 55، 53.
-د-	الحتمية التفاولية 55.
الدراسات المعيارية 62.	حركة التاريخ 16، 18، 23، 25، 26، 35، 42.
الدور البطولي 37، 49، 51.	

الصراع 28، 35، 36، 38، 39،
41، 47، 48، 51، 52، 53، 54،
56، 57.

-ع-

عالم الأشخاص 29.

عالم الأشياء 29.

عالم الأفكار 16، 29، 35، 62،
63.

العبادة 33، 59،

العدل 61، 70، 81.

العقلية الغربية 19.

العقيدة 31، 32، 59، 65.

علم الله الشامل 27.

-غ-

الغائية 33.

-ف-

الفعل الإلهي غير مباشر 26، 27.

الفعل الإلهي مباشر 26.

الفعل التاريخي 18، 26.

فلسفة التاريخ 12، 13، 14، 23.

الدولة 24، 32، 40، 41، 46، 51،
53، 54، 55، 56.

الدين الطبيعي 64.

-ذ-

الذاتية 20، 32، 43، 38.

ذاتي عامودي 38، 48.

الذهنيات 63، 85.

-ر-

الرؤية 14، 15، 20، 21، 72،
73، 91.

-س-

السقوط 15، 40، 41، 54، 57.

السلوك 58، 59، 62، 64، 65،
68، 82، 90.

السكون 38، 51.

السنن 18، 23، 24، 25، 26، 45،
56.

السننية 24، 25.

السيد الفاعل المرید 29.

-ص-

الصدفة 24.

الماركسية 38.	الفكرة الحضارية 31.
مبدأ التغيير الذاتي 40.	-ق-
مبدأ التقارب 72.	قانون المداولة 40.
مبدأ الحتميات 16.	القلة الرائدة 36.
مبدأ الرفض 20، 21.	القوانين 13، 14، 17، 23، 25، 45، 56.
المثالية 16، 22، 64، 78.	قوانين التطور التصاعدي 17.
المخيال 88، 89، 90.	القيم الأخلاقية 41، 81، 87.
المدرسة التاريخية الجزائرية 72.	القيم العقدية 81.
المدرسة القيمية 62، 72، 73، 74، 91.	القيم العقلية 81.
المدونة التراثية 58.	القيم العليا 34، 47.
المدونة السياسية 84.	-ك-
المدونة الفرنسية 86.	الكتابة التاريخية 12، 37، 76.
المركب 31.	-ل-
المسألة التاريخية 15.	اللا معبر عنه 86.
المسألة الحضارية 18، 28، 41.	اللا مفكر فيه 86.
مشروع القيميات 73.	اللوائية 17.
المشيئة الإلهية 27.	اللاوعي الجمعي 79.
المصادرة 20، 73، 74، 84.	-م-
	المادية 16، 17، 34، 43، 78.

المقاييس المادية 43.	الموضوعية 20، 91.
ملامح المنظومة القيمية 78، 80، 81.	-ن-
المنظومات الثاوية 79.	النصوص المواربة 82.
المنظومة الحضارية 41.	النواميس 15، 36، 49.
المنظومة الفكرية 79، 81، 82.	-ه-
المنظومة القيمية 17، 62، 63، 75، 78، 80، 81، 82، 90، 91.	الهيكلية 38.
المنهج التاريخي 11، 12، 17، 77.	-و-
المنهج الغربي 19، 20، 21، 74.	الواقعية 22، 38، 69.
	الوقائع التاريخية 14، 24.

الصفحة	الموضوع
(10-02)	المقدمة
(17-11)	مدخل
11	❖ المنهج التاريخي وأهميته
11	❖ نبذة عن تطور المنهج التاريخي
12	❖ مفهوم فلسفة التاريخ أو تفسير التاريخ
15	❖ الدوافع والمسوغات
(57-18)	الفصل الأول: التفسير الإسلامي للتاريخ بين التنظير والتطبيق
(42-18)	أولاً: التنظير
18	1. مبادئ حركة التاريخ
18	❖ البعد الغيبي في حركة التاريخ
23	❖ القوانين والسنن التي تحكم حركة التاريخ
26	❖ الفعل التاريخي في التفسير الإسلامي للتاريخ
28	2. المسألة الحضارية
29	❖ منظومة البناء الحضاري
35	❖ الصراع والحركة التاريخية
40	❖ سقوط وقيام الدول والحضارات
(57-42)	ثانياً: التطبيق
42	1. البعد الغيبي في حركة التاريخ
45	2. القوانين والسنن التي تحكم حركة التاريخ
47	3. الصراع والحركة التاريخية
54	4. سقوط وقيام الدول والحضارات

(91-58)	الفصل الثاني: المقاربة التاريخية للمنظومات القيمة.. المرجعية والتجليات
(71-58)	أولاً: المرجعية
58	1. مفهوم القيم
60	2. أهمية القيم
64	3. مصادر القيم ومنابعها
69	4. خصائص القيم الإسلامية
(91-72)	ثانياً: التجليات
75	1. مجال التحقيق
76	2. مجال التأليف
76	أ- الدائرة المنهجية
78	ب- الدائرة المعرفة
79	❖ دراسة المنظومات
82	❖ دراسة المدونات
86	❖ دراسة الخطابات
92	الخاتمة
96	الوراقية
104	الكشافات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ